وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

العنوان:

المراكز الثقافية في المغرب الأقصى ودورها الثقافي والديني والاجتماعي فاس ومراكش أنموذجاً مابين(ق 15 - ق 19 م)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبات:
- كريمة كرمة
- عائشة قويدري
- فاطمة الزهراء روادي

إشراف الأستاذ:
- سعودي أحمد

لجنـــة المناقشـــة

الأستاذ علاق محمـــد	.....	رئيسا
الأستاذ سعودي أحمد	.....	مقررا
الأستاذة جفال عمـــر	.....	مناقشا

السنة الجامعية: 2017/2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكرات

نحمد الله عز وجل ونثني عليه كما ينبغي لجلال وجهه وعظم سلطانه أن

أنعم علينا بنعمة العلم وأن وفقنا لإنجاز هذا العمل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ من لم يشكر الناس لم يشكر الله ﴾

ولهذا لا يسعنا إلاّ أن نتقدم بالشكر الجزيل

إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث ونخص بالذكر الأستاذ

المشرف "سعودي أحمد" على توجيهاته وإرشاداته القيمة لنا.

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتنا الأجلاء

الذين اغترفنا من مناهل علمهم كما أشكر الأصدقاء الذين لهم أيدي لا

تطاولها يد في هذا البحث.

وكما لا يفوتنا أن نشكر كل من مدّ يد المساعدة من قريب أو من بعيد

ولو بكلمة طيبة.

كما نشكر الأساتذة المشرفين على لجنة المناقشة. شكرًا

إهداء

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
أبدأ:
لأن حبكم فوق كل العبارات عجزت عن تجسيده على الصفحات إليكم أهدي ثمرة عملي وأقول
ربح البيع والشراء هنيئا نجاحكم أبي :
إلى رمز الكفاح في الحياة إلى الذي تعب من أجل تربيتي إلى من غرس القيم والأخلاق في قلبي إلى من أحمل لقبه بكل فخر واعتزاز أبي "الطاهـــــــــــر" أطال الله في عمره.
إلى التي حملتني وهنا على وهن وسقتني من نبع حنانها وعطفها الفياض لى من كان دعاؤها ورضاها عني سر نجاحي أمي الغالية "فاطمـة عطيـــــــة".
إلى من قاسمتني عطف وحنان أمي وأبي أختي التي كانت خير سند لي حبيبتي الحنونة "نصيـــــرة"
إلى شموع المستقبل الراقي، زهور أشواقي عند فرحة التلاقي، إليكم أشقائي: أخي "بلقاســـــم" "محمد" وأخي الصغير خاتمة العنقود "بلحسيـــــــــن".
إلى روح جدتي "دنيا و زخروفة " وجدي "بولرباح و بلحسيـــــــن " إلى من سرقهم مني القدر ولم أرو عيني منهم بالنظر رحمة واسعة عليكم سكان القبر.
إلى كل من يحمل لقب كرمة وعطية.
إلى حبيبتي وصديقتي وأختي الغالية إلى من أهدتني نورا في ليلة ظلماء جعلني ونجوم السماء سواء، إلى من فضلت أن تبقى وردة في بستان الخفاء لترسل لي عبقها صباح مساء والتي قاسمتني الأحزان والأفراح "فاطمة الزهراء داب "إلى أمها الحاجة "أم الخير" أطال الله في عمرها إلى كل عائلة "داب" فردا فردا.
إلى رفيقتي الدراسة اللتان سهرتا معي على إنجاز هذه المذكرة (فاطمة روادي وعائشة قويدري) إليهما أقول ربح البيع حبيباتي
إلى من احتلوا من بعد إخوتي الصدارة، فغزوا في المدينة أشواك الحضارة، واحتكروا معالم الأخوة والإمارة إلى من أعتز بصداقتهم: (مباركة، عبلة، فاطمة، عائشة، مروة، خولة، مريم، خيرة، سارة، سهام، أمينة، فايزة، بختة، ليلى، يسرى، أم الخير، فريحة، فاطنة، سعيدة، مسعودة)
إلى كل طلبة التاريخ وأخص بالذكر طلبة سنة ثانية ماستر تاريخ المغرب الحديث والمعاصر
إلى كل سكان دائرة بريدة
إلى كل من احتواهم قلبي ولم يكتبهم قلمي، إلى كل من تحمله ذاكرتي ولم تحمله مذكرتي
إلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة.

كريمة كرمة

اهداء

بلسان قائل وقلم صادق أنحني إلى من ألهمني بنعمة العقل إلى الله عز وجل

إلى معلم البشرية ومنبع العلم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى الذين خصهما الله بالطاعة، وميزهما برقي المنزلة وجعل بين أيديهما مفاتيح الجنة إلى الوالدين أهدي ثمرة عملي

إلى أبي الغالي محمد، إلى لحن الحب والعطاء، إلى معزوفة الحنان والوفاء، إليها وحدها وبكل صفاء والدتي الغالية مباركة.

إلى كل إخوتي وأخواتي إلى كل الكتاكيت الصغار:ابتسام،رهف،أسيل،نور الهدى،والى قناديل العائلة: عبدالوهاب،محمد علاء الدين،أسامة،نور الدين،نجود،كريمة،عائشة،فتيحة،والى كل من يحمل لقب قويدري.

إلى من رافقوني في مشوار الحياة الجامعية وأسدوا لي بنصائحهم فكن نعم الصديقات:جميلة،فطيمةق،سعيدة،سارة،عبلة،مباركة،فطيمة م،فاطنة،فريحة،زهرة د،إيمان .

الى كل الزملاء والزميلات في الحياة الدراسية من المرحلة الابتدائية الى المرحلة الجامعية

إلى من تقاسمتا معي متاعب الأيام وهموم البحث،إلى رفيقتا الدرب:كريمة كرمة وفطيمة روادي.

الى كل من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر الى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة في سبيل العلم والنجاح إلى أساتذتي الكرام .

إلى كل باحث ومجتهد، إلى كل طلبة التاريخ، والى كل من يعرفني من قريب أو بعيد.

عائشة قويدري

اهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي عملي هذا إلى صاحب المنة والفضل الله عز وجل وإلى سيد البشرية ومعلم الإنسانية محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ها هي عبارات حتى وإن كانت قليلة في حق من قال فيهم الله عز وجل " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا "

ها هي كلمات أزفها إلى أغلى أب " روادي قرمامي " و أغلى أم "بوشوشة الشيخة "

ها هو قلبي ينبض حنانا وحبا إلى إخوتي و أخواتي " محمد رضوان، تومية، إبراهيم سراج الدين، محمد نور الدين، أسماء فوزية، رغد أحلام، كما لا أنسى الكتكوتة الصغيرة " إيمان عبيزة" وإلى زوجة أخي " فاطمة بن زيان "

إلى من تقاسمت معهم السعادة و المشقة إلى "كرمة كريمة، عائشة قويدري، مباركة عبيتة، عبلة سعيدي ، فاطمة العربي، فاطمة الزهراء داب، جميلة حداد، خولة، خيرة، فاطمة الزهراء، ستي، فاطنة بودودة، فريحة بودودة، سهام دوادي، فاطمة شخيوة، ماما عبيتة، والطفلة " نعيمة الطاهر"

إلى جميع من يحمل لقب " روادي و بوشوشة"

إلى من علموني وأرشدوني إلى الطريق الصحيح الأستاذ " سعودي أحمد "، " جفال عمر "، "عطية محمد"، " رميتة عبد الغاني"، "أبو بكر مريقي "، "بومدين كعبوش"، " علاق محمد"، "كيدار عبد الوهاب "

إلى زملائي الطلبة و أخص بالذكر " خالد جعيرن، يحي بن يحي، إدريس بن شاعة، عمر بن جاب الله، صدام حملاوي، ثامر بهلولي، النية مشعل، حرز الله رميلات "

وإلى كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و خاصة الفوج **03**.

فاطمة الزهراء روادي

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تق	تقديم
تع	تعريب
ر	رقم
مرا	مراجعة
ج	الجزء
مج	المجلد
ط	الطبعة
(د.د.ن)	دون دار النشر
(د.ب.ن)	دون بلد النشر
(د.س.ن)	دون سنة النشر
ص	الصفحة
p	page الصفحة

مقدمة

تميز المغرب الأقصى بموقعه الاستراتيجي الذي كان عاملا في جذب العلماء والوافدين لأهم مدنه العلمية كفاس ومراكش،وعلى أساس مراكزه المشهورة كان دار علم لحركة ثقافية واسعة خلال القرن 15م/19م رغم الظروف السائدة آنذاك،كل ذلك لم يمنع من ظهور نخبة علمية وانتاج فكري ضخم على يد العلماء،والفضل كان لاهتمامات السعديين والعلويين الذين ساهموا في تنشيط الحركة الفكرية وعلاقاتها الثقافية بدول الجوار خاصة الجزائر،وهذا مافتح مجالا أمام العلماء للحوار والمناظرة والتعمق في البحث والاقبال على مختلف المؤلفات الفكرية .

دوافع اختيار الموضوع :

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع للكشف عن تاريخ المغرب الأقصى في فترة محدودة (ق15م/19م) وفي مكان محدود (فاس،مراكش) ولم تأت عن طريق الصدفة، بل جاءت بعد الاقتناع بأن دراسة المغرب التاريخية لن تأتي بطريقة علمية مضبوطة، الا اذا جزء هذا التاريخ الى وحدات زمانية ومكانية وقد اخترنا فاس ومراكش كنموذج باعتبارهما من أكبر الحواضر الثقافية في المغرب الأقصى،أما الفترة الزمنية فكان القرن 15م بداية تحول موازين القوى من الوطاسيين الى السعديين الذين ساهموا في اثراء الحياة الثقافية، أما القرن 19م تعرض المغرب الأقصى للأطماع الفرنسية .

-ميول شخصية نحو البحث في الموضوعات الثقافية على اعتبار أن الثقافة هي المرآة العاكسة لمدى الرقي الذي وصلته أي دولة أو شعب من الشعوب عبر التاريخ.

-رغبتنا في اكتساب هوية علمية خاصة هي:هوية الباحث الجامعي

-توفير مادة علمية يمكن أن تساهم في اثراء الرصيد المعرفي للطلبة والقراء المختصين على حد السواء .

-المساهمة في استكمال الدراسات السابقة .

-القيام بخطوة أولى لبحث أو عمل يكون أكثر عمقا وصلابة في المستقبل.

-اعتقادنا على أن هذا الموضوع مازال في حاجة الى دراسات جادة ومتجددة .

-تجاوز نموذج الدراسات الكلاسيكية للتاريخالمعتمدة على ابراز التاريخ كحوادث أوعلاقات سياسية أو تراجم جافة لشخصيات ...الى محاولة الاحاطة بالنشاط البشري من مختلف جوانبه الانسانية والثقافية والعلمية ...مما يسمح لنا بفهم الأحداث فهما متكاملا وشاملا .

- عدم اهتمام الباحثين بالمجال الثقافي والعلمي, حيث نرى أن جل كتاباتهم حول المجال السياسي والتطور العسكري .

-تقديم صورة صادقة، وموضوعية، عن المغرب الأقصى.

-تحفيزات وارشادات بعض الأساتذة ونخص بالذكر الأستاذ المشرف .

الهدف من الدراسة:

رغم صعوبة الفترة المليئة بالأحداث السياسية الا أن جانب الثقافة بقي لامعا هذا مادفعنا للاستقرار على موضوع المراكز الثقافية في مدينتي فاس ومراكش، والنقص الكبير الذي مازال يشكو منه البحث في تاريخ الفكر بالمغرب الحديث، لأن معظم الباحثين يميلون الى التاريخ السياسي الذي تبدو المادة فيه أوفر وأسهل .

الاشكالية:

ولإثراء البحث وإيضاح الموضوع وإبراز ذلك كان لابد من طرح اشكالية والمتمثلة في التساؤلات التالية :

-**الإشكالية العامة** : ماهي أهم المراكز الثقافية في مدينتي فاس ومراكش؟ وماهو دورها الثقافي والديني والاجتماعي ؟

-**التساؤلات الفرعية** : بما تميز المغرب الأقصى طبيعيا وبشريا ؟

ماهي أبرز التطورات السياسية في المغرب الأقصى مابين القرنين 15م-19م ؟

كيف كانت الحياة الاجتماعية في فاس ومراكش ؟

كيف تم تأسيس مدينتي فاس ومراكش ؟وماهي أبرز التطورات فيهما ؟

ماهي أهم المراكز الثقافية والدينية في هاته المدينتين ؟

فيما تمثل دور هاته المراكز ؟ وهل كان هناك تواصل ثقافي مغربي جزائري ؟

-ولإعطاء هذه التساؤلات نصيبها ارتأينا تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة فصول ثم حاولنا قدر الامكان الاجابة عن الاشكاليات المطروحة بما وفرته لنا المصادر والمراجع من معلومات ومجموعة من الاستنتاجات تمثلت في الخاتمة، ثم مجموعة من الملاحق المدعمة لهذه الدراسة .

الخطة المعتمدة :

لمعالجة هذا الموضوع وضعنا خطة تضمنت العناصر التالية:

مقدمة تتضمن أهمية البحث، ودواعي اختيار الموضوع والهدف من الدراسة كما طرحت فيها الاشكالية مع دراسة تحليلية لاهم المصادر والمراجع المختلفة، بالإضافة الى الصعوبات التي يتعرض لها كل باحث، حيث قسمت هذه الدراسة الى أربعة فصول، الفصل التمهيدي الذي تناولنا فيه النقاط التالية :

موقع المغرب الأقصى والمساحة

التضاريس والمناخ

الشبكة المائية والغطاء النباتي والحيواني

التطورات السياسية في عهد السعديين اذ تطرقنا الى مراحل الضعف والعظمة وأبرز الحكام الذين تداولوا على السلطة من بينهم :أحمد الأعرج، القائم بأمر الله محمد الشيخ، محمد المتوكل، أحمد المنصور الذهبي .وكذلك التطورات السياسية عند العلويين ولعل من بين أهم ملوكها :حسن بن القاسم الملقب بالداخل، محمد الشريف، الرشيد مولاي اسماعيل، المولى يزيد، المولى سليمان، المولى حسن ...الخ .

أما الفصل الأول فعنوناه بالحياة الاجتماعية والثقافية لمدينة فاس تطرقنا فيه لنشأة المدينة ومؤسسها وتطورها العمراني. أما المبحث الثاني فذكرنا فيه الحياة الاجتماعية من بنية سكانية والتي تم فيها ذكر العناصر المكونة للمجتمع الفاسي وكذا عاداته وتقاليده التي تمثلت في الأكل واللباس والزواج والمناسبات، الى ذكر المرأة وماتعلق بها.

أما المبحث الثالث فكان عنوانه الحياة الثقافية والدينية لمدينة فاس، اذ تطرقنا لأهم المساجد والزوايا والأوقاف كجامع القرويين والذي يضاهي في شهرته جامع الأزهر بمصر، والزاوية الدلائيةوالمتوكلية، وأوقاف القرويين، ولعل من أهم المدارس والكتاتيب نجد :المدرسة البوعنانية، العطارين، المصباحية، أماالكتاتيب فكان معظمها بالقرب من المساجد وبيوتات فاس .

أما الفصل الثاني فعنوناه بالحياة الاجتماعية والثقافية لمدينة مراكش اذ تطرقنا فيه أيضا لنشأة المدينة ومؤسسها وتطورها العمراني، أما المبحث الثاني فذكرنا فيه الحياة الاجتماعية من بنية سكانية وأبرز العناصر من بربر وعرب وأندلسيين ومسيحيين ويهود وكذلك العادات والتقاليد والمرأة .

و بخصوص المبحث الثالث فذكرنا فيه الحياة الثقافية والدينية لمدينة مراكش من مساجد وزوايا وأوقاف مثل:مسجد المواسين والكتبيين، الزاوية الشرقاويةوالوزانية، وأوقاف مسجد باب دكالة.

ومن أهم المدارس نجد المدرسة العظمى، مدرسة جامع الأشراف.

أما الفصل الثالث فكان حول المراكز الثقافية في مدينتي فاس ومراكش اذ تطرقنا الى الدور الاجتماعي من ايواء واطعام وتمريض، والدور الثقافي والذي تمثل في تنشيط الحركة العلمية واحتضان العلماء،وكذا الدور الديني والذي تمثل في نشر المذهب المالكي وتعليم الفقه والقرآن الكريم، الى جانب ذكر التواصل الثقافي بين هاته المراكز والجزائر من هجرة للعلماء بين البلدين واجازات علمية .

أما بخصوص الخاتمة فكانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات حول الموضوع .

المنهج المتبع :

قد اعتمدنا في كتابة بحثنا هذا على المنهج التاريخي الضروري لسرد الأحداث وفق تسلسل زمني والاعتماد على المصادر الأصلية والقراءة الدقيقة والتركيز على الأحداث الحضارية والاعتماد على التحليل والاستنتاج حتى لايكون مجرد صياغة لفظية، كما استعملنا المنهج الوصفي في العديد من المرات لوصف الأحداث والوقائع ونقلها كما وردت من خلال المصادر أوالمراجع أو الصور .

المصادر والمراجع المعتمدة:

وأما المصادر فاعتمدنا على :

-الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب (الدولة العلوية)ج7

-الحسن الوزان، وصف افريقيا، واحتوى على وصف جغرافي وطبيعي وسياسي واقتصادي وثقافي وديني لبلاد المغرب في القرن الخامس عشر .

-محمد الصغير اليفراني، نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي .

-المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .

-ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس .استفدنا منه حول نشأة مدينة فاس وتطورها .

-الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس .أخذنا منه عن جامع القرويين .

-الموقت المراكشي، السعادة الأبدية في التعريف بالحضرة المراكشية .استفدنا منه حول كل مايتعلق بمراكش خاصة مدارسها ومساجدها.

-مجهول، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، أخذنا منه تسمية مراكش.

أما المراجع :

-الصديق بن العربي، كتاب المغرب .استفدنا منه حول موقع المغرب الأقصى .

-عبد الرحمان المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار افادنا حول الشبكة المائية للمغرب الأقصى .

-شوقي عطاالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا –تونس –الجزائر-المغرب) .حيث أفادنا حول السعديين ومعركة وادي المخازن .

-مارمولكاربخال، افريقياستفدنا منه حول نشأة مدينة مراكش

-عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية .وابراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين الى نهاية السعديين .استفدنا من خلالهما حول الحياة الثقافية في المغرب الأقصى .

-عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب .استفدنا منه حول الدور الاجتماعي للمراكز الثقافية .

-هذا الى جانب بعض الموسوعات، موسوعة المغرب لعبد الفتاح الغنيمي، المجلد3،ج5.

-أما المجلات مثل مجلة عبد الباسط المستعين، المعالم العمرانية لفاس الجديد المرينية.

-وبالنسبة للدراسات السابقة نجد :امحمدبوذيبة،المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب تلمسان وفاس نموذجا.

الصعوبات:

اذا كانت لذة البحث تكمن في التغلب على مصاعبه، فان هناك العديد من العوائق يصعب تجاوزها وتحتاج الى تضافر جهود الباحثين والمشرفين على الجامعات ومراكز البحث العلمي للتغلب عنها لعل من بينها:

-صعوبة هيكلة الموضوع المقترح للدراسة والبحث وكذا التحكم به بحيث يكون متكامل ومتناسق، وذلك لتنوعها وغزارة المعلومات.

-منح مدة قصيرة للطالب الباحث ليحضر مذكرته يعتبر أمرا مرهقا .

-صعوبة البحث بمكتباتنا الجامعية ففي الكثير من الأحيان تكون الاجابة بالسلب بعد انتظار طويل، بحجة أن الكتاب مفقود أو خرج من المكتبة

- صعوبة التنقل إلى المغرب الأقصى لرؤية هذه المراكز.

-ورغم كل هذا فالباحث لاتثنيه الصعوبات من مواصلة مشوار البحث العلمي وقد بذلنا ما في وسعنا لتكون هذه الرسالة مساهمة بسيطة في تدوين ثقافة المغرب الأقصى.

واخيرا لايمكن الالمام بكل المادة التاريخية التي شملت هذه الدراسة، ونرجوا ان يكون هذا العمل المتواضع الذي حاولنا فيه الالتزام بالأمانة العلمية والموضوعية التامة ان يكون قد فتح بابا للبحث العلمي، ولايفوتنا في الأخير ان نتوجه بجزيل الشكر والامتناناللأستاذ المشرف لمجهوداته وتوجيهاته العلمية، فحفظه الله ورعاه.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: المغرب دراسة طبيعية

ذكر ابن خلدون " أن لفظ المغرب في أصل وضعه اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة المشرق كذلك بإضافته إلى جهة المغرب " [1] .

وفي الاصطلاح اطلقت كلمة المغرب على أرض تقع بعد أرض مصر وتمتد إلى سواحل المحيط الأطلسي.[2]

وفي القرن 4 هـ / 10م نجد أن أرض المغرب تتسع لتشمل أرض الأندلس أرض أيضا قال الإصطخري : "وأما المغرب فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقيه و نصف من غربيه، فأما الشرقي فهو برقة و تاهرت و السوس و زويلة، وما في أضعاف هذا الإقليم و أما الغربي فهو الأندلس [3] .

أما المقدسي في ق 4 هـ 10 م، فقد اهتم يوصف بلاد المغرب من الناحية الادارية من دون جعل الأندلس جزء منه حيث : " أول كور المغرب من قبل مصر برقة ثم إفريقية ثم تاهرت ثم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الأقصى "[4] .

يقع المغرب في أقصى الشمال الغربي من القارة الإفريقية يحده شرقا بلاد الجزائر وغربا المحيط الأطلنطي وشمالا بوغاز جبل طارق والبحر المتوسط وجنوبا الصحراء الكبرى تبلغ مساحته 750 ألف كيلو متر مربع طول سواحله على البحر المتوسط من حدود الجزائر إلى طنجة 468 كيلومتر وعلى المحيط الأطلنطي من طنجة حتى تخوم الصحراء على طول 700.2 كيلومتر [5].

ويعتبر المغرب الأقصى جزء لا يتجزأ من الشمال الأفريقي أو المغرب العربي الكبير، وينحصر بين درجة 15 /36 درجة عرضا شمالا، وبين درجة صفر و18 طولا غربا، ويحده من جهة الشمال

---

[1]– عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** دار الكتاب اللبناني ، 1959م، ج 6، ص 193 .

[2]– احمد بن واضح اليعقوبي ، **البلدان** ، د.د.ن ، النجف ، 1918م، ص100.

[3]– ابي اسحاق ابراهيم بن محمود الاصطخري ، **مسالك الممالك** ، طبعة ليدن ، د. ب. ن ، 1927م ، ص36 .

[4] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري المقدسي ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ط 2 ، طبع في مدينة ليدن ، مطبعة ابريل ، 1909 م ، ص 216 .

[5]– الصديق بن العربي ، **كتاب المغرب** ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، د د ن، 1404 هـ/ 1984 م ، ص 07 .

البحر الأبيض المتوسط، حيث لا تبعد عنه سياسيا من جهة سبتة أكثر من 13 ميلا، ومن الغرب المحيط الأطلسي، ومن الشرق حدود الجزائر ومن الجنوب مالي و السنيغال بإدخال الصحراء الكبرى [1].

وتبلغ مساحته حوالي802، 516 . و يمتد شاطئيه على البحر الأبيض المتوسط والمحيط نحو الثلاثة آلاف واتصاله بالصحراء كاتصاله بأوروبا أقرب وأسهل مثل اتصاله بإفريقية في الوسط والغرب، ثم بآسيا[2] .

أما الموقع الحالي للمغرب الأقصى فتحده الجزائر من الشرق والجنوب الشرقي، أما في الجنوب الغربي فتقع الساقية الحمراء و واد الذهب، وتبلغ مساحة المغرب الأقصى 446، 550 كيلومتر مربع عاصمته الرباط حاليا ونظام الملك ملكي دستوري [3].

المبحث الثاني : التضاريس والمناخ

يتكون المغرب الأقصى من سلسلتين جبليتين عظيمتين، سلسلة جبال الريف الشمالية المحاذية لشاطئ البحر الأبيض المتوسط ، وسلسلة جبال الأطلس الجنوبية، التي تتفرع إلى ثلاثة أقسام عظمى : الأطلس الصغير، والأطلس المتوسط، والأطلس الكبير، وتعد جبال الأطلس حاجزا طبيعيا بين الأراضي الخصبة و الصحراء كما تعتبر جبال الأطلس المتوسط خزانا عظيما للمياه، التي تغذي أشهر الأنهار المغربية كأم الربيع، ووادي سبو، ووادي درعة، ويبلغ علو بعض الجبال 4165 مترا والمغرب واقع في المنطقة المعتدلة الشمالية، ويطل على بحرين عظيمين و لما كانت أمطاره غزيرة شتاء وحرارته معتدلة صيفا [4].

إن شمال المغرب الأقصى هو منطقة جبلية أقل إرتفاعا من الأطلس إلا أن قربها من البحر المتوسط ووجود الامهاد المحيطة بها أبرز هذا الإرتفاع ، ومن هناك تبدو في وضوح سلسلة جبلية مقوسة طولها300 كلم تجويفها متجه نحو الشمال وتسمى الريف، ثم إن بوغاز جبل طارق الذي هو مضيق قديم غمرته مياه البحر وآخر ممر لغربي الأطلس، لا يفصل المجموعة الجبلية الشمال

[1]- محمد الأمين محمد، محمد علي الرحماني ، **المفيد في تاريخ المغرب** ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، د.س.ن ، ص 07-08

[2]- عبد الكريم الفيلالي، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير** ، ج 1 ، ط1 ، شركة ناس ، القاهرة ، 2006 م ، ص 125-126.

[3]- عاطف عبد، **قصة وتاريخ الحضارات العربية** ، موسوعة تاريخية – حضارية – أدبية ، ليبيا ، السودان ، المغرب ، العدد 19 / 20 ، د د ن، 1998م -1999م ، ص 119.

[4]- محمد الأمين محمد، محمد علي الرحماني ، **المرجع السابق** ، ص 07-08 .

إفريقية والسلسلة الجبلية الاوروبية إلا بفاصل ضيق لأن سلسلة " جبال البيتيس " امتداد للريف المغربي في الأندلس، وفي جنوب الريف تتتابع الجبال في شكل دائرات منتظمة ذات مركز واحد، وفي جبل أرهون ينتصب ضريح مؤسس الدولة الإدريسية .

وتمتد السهول و النجاد بين المحيط الأطلسي وسفح الأطلس، فالنجاد في الشمال بين طنجة وفاس في الجهة المسماة بالغرب والقسم الغربي الممتد من الطريق الرئيسية التي تشق البلاد عرضا، ومن الشرق إلى الساحل الأطلسي الذي يتكون من سهول نهر سبو وأحد روافده من اليمين وهو واد إيناون [1].

يتراوح علو الجبال بالمغرب من 750متر إلى 4165 متر أعلاها جبل توبقال بالأطلس الكبير (4165 متر) وجبل العياشي (3737 متر) وجبل بوبيلان (31900 متر) وجبل إقليم بالأطلس الصغير (2530 متر) وجبل سيروه (3300) .

وتبلغ مساحة سهول المغرب نحو الثلاثين من مجموع مساحته ولا يتجاوز ارتفاعها عن سطح البحر أكثر من 500 متر وهي تعادل في مجموعها مساحة سهول تونس والجزائر، تقع هذه السهول بين جبال الريف وجبال الأطلس والمحيط الأطلنطي من الشمال إلى الجنوب سهول الغرب والشاوية ودكالة و عبده والشياظمة وحاحة وسوس ثم سهول الحوز والسراغنة حول مراكش وسهول حول وجدة بالناحية الشرقية [2] .

مناخ المغرب الأقصى :

يتأثر المغرب الأقصى بمناخ البحر الأبيض المتوسط حار وجاف صيفا، دافئ وممطر شتاء هذا إلى جانب وقوع الجهة الغربية على ساحل البحر، وارتفاع التضاريس نسبيا جعل المنطقة تتمتع بنسبة

[1]- شارل أندري جوليان ، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تع : محمد مزالي، البشير سلامة ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، د.ب.ن ، 1968م، ص13 .

[2]- الصديق بن العربي، **المرجع السابق**، ص08.

لابأس بها من المطر [1] والمناخ في جملته معتدل على السواحل وأحواض الأنهار ما قد يميز بعض الجبال من البرودة الشديدة [2] .

لعب العامل الجغرافي دور كبير في عزلة المغرب الاقصى عن العالم الخارجي ليميز خاصية الجبال من الناحية الجغرافية أرض معزولة، في إفلات المغرب من النفوذ العثماني وبقائه مستقلا عن العالم الخارجي [3].

المبحث الثالث: الشبكة المائية والغطاء النباتي والحيواني

1/ المياه :

يتوفر المغرب الأقصى على كمية كبيرة من المياه وذلك لكثرة الأمطار والثلوج والأنهار الكبرى، فجل أنهاره تنبع من الأطلس المتوسط والكبير، وتصب في المحيط الأطلسي .

ومن أهم أنهار المغرب الأقصى نهر سبو (460كلم) الذي يتصل بوادي ايناون وورغة ويسقى ناحية الغرب[4].

ويعد من أعظم أنهار الشمال الإفريقي ويليه في الأهمية نهر أم الربيع (560 كلم) الذي يتصل في طريقه بوادي تاساوت و واد العبيد ويسقى سهول دكالة نهر ملوية الذي يجري من الجنوب إلى الشمال ليصب في البحر المتوسط، ورغما عن طوله (540كلم) فهو قليل الأهمية، وهناك أنهار ثانوية تصب في المحيط ومن الشمال إلى الجنوب لوكوس (100كلم) أبو رقراق (179كلم) تانسيفت (270كلم) سوس (200كلم) تجري بالمناطق الصحراوية عدة أنهار تتبخر مياهها في الصيف كأودية زيز وغريس وغير والدورة ودرعة و واد نول بالصحراء [5] .

---

[1]– محمد رياض، **إفريقيا** ، دار النهضة العربية ، لبنان ، 1966م ، ص375 .

[2]– شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات : الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان** ، ط1 ، دار المعارف ، مصر ، 1995م ، ص 25

[3]- Pual S'chnel ، **L'atlas marocaine** ، trad ، augustin Bernard ، Paris ، ed ، Frnest leroux ،1898 ،P02.

[4] - عبد الرحمن المودن، **البوادي المغربية قبل الإستعمار** : قبائل ايناون و المخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1995م، ص 30 .

[5] - الصديق بن العربي، **المرجع السابق** ، ص 08-09.

2/ الغطاء النباتي والحيواني :

إن المغرب الأقصى بلد فلاحي، لأن معظم أراضيه خصبة صالحة لكثير من أنواع النباتات وأهم محصولاتها الزراعية : الحبوب والزيوت والقطن والفواكه والأزهار، كما توجد به غابات كثيرة، ومراعي طبيعية تعيش على أعشابها قطعان هائلة من البقر والغنم والمعز والإبل والخيول كما تكثر الدواجن المتنوعة وأنواع شتى من حيوان الصيد البري وأسماك البحر والنهر[1].

ولاختلاف الطقس بين الوديان والسهول والجبال و منحدراتها مما انعكس على الغطاء النباتي بالمغرب فنجد سهول واسعة لزراعة الحبوب وغرس الأشجار و نجد النخيل في المناطق الجنوبية[2].

وكثير من الحبوب كانت تصدر إلى أوروبا، إلى جانب تجارة السكر فكان يصدر بكميات وافرة إلى مرسيليا و فلاندا ومن الثابت أن القطن في القديم كان يزرع بكثرة في المغرب وكذلك الماشية فهي كثيرة متنوعة و المرينوس الذي هو صنف من الغنم مشهور في أوروبا بجودة صوفه و الذي كان المغرب يصدره إليها بكثرة بواسطة إسبانيا، وأسماك المغرب كثيرة متنوعة، ففيها أصناف المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وشواطئ موريتانيا والسنغال، وهذا المزيج الغريب من أسماك بحار باردة وبحار حارة، ويعتبر صيد الحوت اليوم من الثروات الأساسية بمينائي آسفي وأغادير [3].

المبحث الرابع: التطورات السياسية في عهد السعديين (915-1069هـ/1510-1658م)

أصل السعديين ونسبهم :

يروى عن نسب السعديين روايات كثيرة، أهمها ما يلي:

1- قيل أنهم من بني سعد بن بكر بن هوزان الذين تنتمي إليهم حليمة السعدية مربية الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه رواية المقري صاحب نفحة الطيب .

---

[1]- محمد الأمين محمد ، محمد علي الرحماني ، **المرجع السابق** ، ص10.

[2]- شوقي ضيف ، **المرجع السابق** ، ص285 .

[3]- آلبر عياش ، **المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية** ، تر : عبد القادر الشاوي ، نور الدين سعودي ، ط1 ، دار الخطابي ، د.ب.ن ، 1986م ، ص20.

2- قيل إنما لقبهم العامة بالسعديين تيمنا لأنهم سعدوا بدولتهم، وهذه من روايات اليفراني [1].

3- قيل أنهم من ولد النفس الزكية ،فهم في هذه الحالة أبناء عمومة العلويين يجتمعون في محمد بن القاسم بن محمد، وجميع هذه الروايات ساقها الناصري في كتابه الاستقصاء [2].

ويروى عن سبب قدومهم إلى المغرب قصة تفيد أنهم قدموا في أوائل القرن الثامن الهجري وفي عهد بني مرين يطلب من بعض سكان درعة الذين يبدو أنهم اتصلوا بهم وقت أداء مناسك الحج حتى يتيمنوا بوجودهم في استصلاح زروعهم وثمارهم، وهكذا استقروا من ذلك التاريخ قرب زكورة عند تاكمدارت [3] .

وقد قامت الدولة السعدية قبل كل شيء، على أساس ديني سياسي، فالسعديون أشراف يرون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا في صنع المغرب كليا في وحدة سياسية متماسكة، أيضا كان من الضروري توحيد صف المقاومة الشعبية التي تصدى لها على الخصوص الصلحاء والمتصوفة، فكانوا في نظر كثير من العامة أحق الناس بتولي الملك، إلى جانب الخطر الأجنبي على البلاد أذا لم تبادر أي دولة محكمة الجهاز إلى تبنيها [4].

عرف القرن العاشر للهجرة الموافق للسادس عشر ميلادي صراعا قويا بين الأتراك العثمانيين في الشرق والإسبان والبرتغال في الغرب المسيحي من أجل السيطرة والتحكم في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد تمركز هذا الصراع في الشمال الافريقي وفي بلاد المغرب الأقصى بوجه للأهمية الاستراتيجية لدى المغرب كذلك شأن الدعوة التي قامت في جنوب المغرب وفي بلاد سوس بوجه خاص، حيث أصبح سكانها يشعرون بالخطر خصوصا بعد استيلاء الأجانب على المراكز الساحلية مما أدى إلى إعلان الجهاد ضدهم [5].

---

[1]- محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله اليفراني ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، منشورات ارنست لوروكس، باريس، 1888م، ص 03.

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، **الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى – الدولة السعدية** – تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1418هـ/ 1997م ، ج6 ، ص4 .

[3]- مؤرخ مجهول ، **تاريخ الدولة التكمدارتية** ، تح : عبد الرحيم بنحاده ، ط1 ، مطبعة تينمل ، مراكش ، 1994م ، ص20 .

[4]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ** ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1420هـ /2000م ، ج2 ، ص 243 .

[5] - أبي فارس عبد العزيز القشتالي ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، تح : عبد الكريم كريم ، المطبعة العصرية ، الرباط ، 1393هـ/1973م، ص 01 .

وكانت بلاد سوس المقر الأول للطريقة الجزولية، وكان إمامها محمد بن سليمان الجزولي من أشهر الأئمة في تلك الفترة والذي حث الناس على الجهاد، الشيء الذي جعل القبائل تطلب منه تولي أمورها عندما استفحلت الاعتداءات الخارجية، لكن الشيخ امتنع كل الامتناع ورفض طلبهم لصعوبة المهمة على شيخ مثله فدلهم على الشرفاء ببلاد درعة [1]. وهو المولى محمد بن عبد الرحمن "فلو بعثتم إليه وبايعتموه كان أنسب لكم وألين بمقصودكم " [2].

وهكذا عمل قبائل سوس على مبايعة المولى محمد بن عبد الرحمن فقبل القائم مبدئيا هذه المبايعة واستقر بقرية تيدسي قرب تارودانت وكان أول ما قام به محمد القائم أن هاجم البرتغال عند أغادير وكانت له انتصارات رائعة، إلا أنه عقد البيعة سنة 918هـ، لابنه أبي العباس الأعرج كولي للعهد بتدسي وانسحب القائم لنداء حاحا والشياظمة وترك ابنه محمد المهدي بسوس واصطحب ابنه أبو العباس إلى أن توفي سنة 1517م، تاركا ابناءه أحمد الأعرج ومحمد الشيخ وهكذا انطلق الأخوان ينتقلان من منطقة لأخرى يحثان الناس على الجهاد ويحرضان ضد السلطة الحاكمة، واجتمع الناس إليهما في كل جهة وصاروا أكثر حرصا إلى أن استبدوا على السلطان ولم يرجعوا إليه بعد [3].

لكن أحمد الأعرج تمكن من دخول مراكش في نهاية 1524م وفي هذا الصدد يقول اليفراني: " أن أبا العباس أحمد الأعرج لما بعد صيته وانتشر في البلاد ذكره وعلا أمره وكاتبته جميع البلاد السوسية هرع الناس إليه وقصدوه من كل جهة ووفدوا عليه وكاتبوه، كما كاتبه أمراء هنتاتة ومراكش ودخلوا تحت طاعته، فدخل مراكش في حدود الثلاثين والتسعمائة [4].

وهكذا ملك السعديون درعة وسوس ومراكش حيث اتخذ أحمد لقب أمير واختار أخاه الأصغر محمد خليفة له في سوس الذي اتخذ تارودانت عاصمة له كما أصبحت مراكش طوال حكمهم نظرا لقربها من سوس [5].

مابين استقرار أحمد الأعرج بمراكش عند مطلع 1525م، ودخول أخيه محمد الشيخ ظافرا إلى فاس سنة 1549م، عرفت الحركة السعدية تطورات هامة، ومرت بمراحل مختلفة، كفاح في الداخل

[1]- عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 1398هـ/1978م، ص35.

[2]- اليفراني، **المصدر السابق** ، ص 12 .

[3]- عبد الكريم كريم، **المرجع السابق**، ص 37.

[4] - اليفراني، **المصدر السابق** ، ص19 .

[5]- نفسه، ص13.

ضد الوطاسيين، وآخر في الخارج ضد مراكز الاحتلال الأجنبي وقد اعترف أبو العباس الأعرج بالسلطة الاسمية للسلطان الوطاسي، ولكن الوطاسيين لم يقبلوا تدخل السعديين بمراكش، وبعد تدخل العلماء والصلحاء بينهم تم الاتفاق على أن يعترف بسيادة الوطاسيين على الجزء الواقع بين المغرب الاقصى والمغرب الأوسط، وبسيادة السعديين على مابين تادلة وسوس، ولكن هؤلاء نقضوا هذا الميثاق وهزموا الوطاسيين في معركة ساحقة عند مشرع أبي عقبة بتادلة سنة 943هـ / 1536م

كان محمد المهدي أخو أبي العباس الأعرج يباشر شؤون منطقة سوس في غيابه، وكان المهدي أصغر سنا من أخيه وأكثر جرأة، إلى أن دب النزاع بينهما وتحول هذا النزاع إلى حرب حقيقية انتهت بانتصار محمد وخلع أبي العباس سنة 946 هـ[1].

لم يتمكن القائم بأمر الله ولا أبو العباس الأعرج من مطاولة البرتغال حتى النهاية وظلوا محتلين لأغادير ، وطردهم منه نهائيا محمد المهدي سنة 948 هـ، واقتضت سياسة محمد الشيخ أن يتخذ من مراكش عاصمة للدولة السعدية، فاستقر بها سنة 951هـ، وظلت مراكش عاصمة للسعديين حتى نهاية دولتهم، ثم تابع محمد المهدي فتوجه نحو الشمال مستوليا على مكناس سنة 955هـ، بعد أن افتتح حصن قشتالة ثم حاصر فاس الى أن تمكن من فتحها سنة 959هـ، ثم قام بتغريب الوطاسيين بجيشه ومع بداية عام 957 هـ، بدأ محمد المهدي حصاره لتلمسان، واستمر حصار المدينة تسعة أشهر انتهت باستيلاء السعديين على المدينة بعد أن قتل محمد الحران أثناء الحصار وكان قد تمكن من الاستيلاء على مستغانم، ولكنه سرعان ما هزم الجيش السعدي واسترد الأتراك تلمسان، وقد حاول السلطان محمد المهدي الاستيلاء عليها من جديد ولكنه لم يوفق لذلك اضطر محمد الشيخ للتحالف مع اسبان الجزائر ضد الاتراك وبعد تواجد أبي حسون بين العثمانيين مبررا للهجوم على المغرب قصد احتلاله بحيث اشتبكوا مع السعديين في معارك أهمها في ساحة فاس، وهكذا التحق محمد الشيخ بمراكش في حين تقدمت الجيوش التركية إلى فاس التي دخلتها سنة 1554م، وتواجه الاتراك و السعديون في فاس التي حاصرها محمد الشيخ إلى أن قتل أبو حسون وكانت المعركة نهاية الدولة الوطاسية، قرر السعديين غزو الجزائر، إلا أن الاسبان ساندوا الأتراك من خلال الجيش الاسباني المرابط بوهران، إلى أن تمكن الأتراك من اغتيال في أواخر 964هـ/1557م[2].

---

[1]- أبو القاسم الزياني ، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف (من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)** تح: رشيد الزاوية ، د.د.ن ، المغرب ، د.س.ن ، ص34

[2]-ابراهيم حركات ، **المرجع السابق** ، ص ص 247. 249 .

بعد وفاة محمد الشيخ تولى الحكم بعد ولده أبو محمد عبد الغالب الذي تولى الحكم من (964 -981هـ/1556-1573م) [1]، ثم تولى من بعده من بعده أبو عبد الله محمد المتوكل من (981 -983 هـ/1573-1575م) كان محمد المتوكل قد ولاه أبوه العهد و بعد وفاته بويع بفاس أولا ثم بمراكش، كان من أنبغ الخلفاء السعديين ثقافة، عرف بالمسلوخ ولم يهنأ بالملك حيث تحالف ضده عبد الملك وأحمد المنصور مع البرتغال وهزمه في معركة عند وادي سبوسة 983هـ ثم بعدها عند وادي الريحان قرب سلا، ثم تولى الحكم بعده أبو مروان عبد الملك المعتصم (983-986هـ/1575-1578م) بعد فرار ابن أخيه المتوكل 983هـ وقام بمطاردته حيث حاصر مراكش إلى أن تمكن من اقتحامها[2].

لتأتي معركة واد المخازن (986هـ 1578م) كان التجاء المتوكل إلى الدون سيباستيان ملك البرتغال لمساعدته، فحصل اتفاق بينهما على أن ينعم الدون سيباستيان بشواطئ المغرب ويحتفظ المتوكل بالداخل، وكانت الخطة أبي مروان ذكية، تسمح للبرتغال بالتوغل في الداخل، وبالتالي تبعد عن المراكز التي يمكن أن تصلها الامدادات أو ينسحب بسرعة منها، كان الجيش البرتغالي أكبر عددا وعدة، وكان يتألف من المتطوعين (الاسبان، الفرنسيين، ايطاليين وغيرهم ...) وهو بقيادة المتوكل وأخيرا تقدمت الجيوش البرتغالية نحو منطقة قصر كتامة، متخطية وادي المخازن، وفي الضفة الجنوبية لهذا التقى الجمعان في أواخر 986هـ/1578م، وهكذا حقق السعديين انتصارا هائلا على البرتغال وكان السبب المباشر هو الحماس الديني، وتوفي في هذه المعركة ثلاث ملوك : المعتصم والدون سيباستيان والمتوكل [3].

كان ازدهار الدولة السعدية من (986-1012هـ /1578-1603م) فترة حكم المنصور الذهبي بويع بوادي المخازن غداة الموقعة ثم جددت بيعته بفاس كان أول عمل قام به غزو الصحراء، فتح السودان (999هـ/1591م)، ورغم الاستقرار السياسي الذي عرفه المغرب في عهد المولى أحمد

[1]- إبراهيم حركات ، **المرجع السابق** ، ص253 .

[2]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، **موسوعة تاريخ المغرب العربي** ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1414هـ /1994م ، ج5 ، ص ص 157-165 .

[3]- شوقي عطا الله الجمل ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)** ، ط1 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 ، ص ص 175-180 .

المنصور الذهبي [1]، فإنه ومع ذلك لم يخلو من بعض مؤثرات الثورات الداخلية التي لم يكن لها أثر طويل مثل : ثورة داوود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ سنة 987هـ، ثورة عرب الخلط، ثورة الحاج قرقوش، ثورة الناصر بن عبد الله الغالب سنة 1003هـ [2].

وفي سنة اثنتي عشر وألف توفي ابي العباس المنصور ملك المغرب في هذا العصر، وبوفاته طويت صفحة مشرقة ذهبية لما عرفته البلاد بعده من محن وأهوال تجلت في ثلاث خطير : الطاعون، المجاعة ، الحروب الأهلية [3]

لينتهي حكم السعديين بآخر ملوكها العباس بن محمد الشيخ الأصغر (1065-1069هـ/1653-1658م) الذي لم يلبث طويلا في الملك بعد تنصيبه، لأن أخواله رغبوا أن يحولوا الملك إلى أسرتهم، حتى حاصروه مدة طويلة بمراكش ثم اغتالوه سنة (1069هـ/1658م) لينتهي أمرهم على يد السلطان رشيد العلوي[4] .

فقد كان من بين عوامل سقوط الدولة: مشاكل العرش، الاعتماد على العلوج في العرش، التدخل الأجنبي، الحركات الاستقلالية، السياسة المالية، ولذلك لم يستطع السعديين الاحتفاظ بما حققوه من أمجاد وانتصارات، خلال السنوات الطوال التي حكموا خلالها المغرب، خصوصا عهد المنصور الذهبي، الذي في عهده اتسعت رقعة البلاد وازدهرت في جميع المجالات لكن سياسته كانت فاشلة فتوزيع البلاد على أبنائه كان السبب الرئيسي في انهيار الدولة، وبالتالي انتاء الحكم السعدي نهائيا [5].

---

[1]- **أحمد المنصور الذهبي** : هو بن محمد المهدي الشيخ بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي ولد بفاس 1549م ، ونشأ بين فاس ومراكش وسوس ، وقرأ القرآن الكريم بويع بعد معركة وادي المخازن سنة 1578م، وكانت له أعمال سياسية عظمى ومنشآت عمرانية مثل قصر البديع ، ويعد من أعظم ملوك المغرب ، توفي 1603م ودفن بفاس الجديد ثم نقل إلى مراكش .أنظر **معلمة المغرب** ، مطابع سلا ، الرباط ، 1989/1410م، ج1، ص173.

[2]- ابراهيم حركات ، **المرجع السابق** ، ص ص 263-273 .

[3]- الناصري، **المصدر السابق** ، ج6، ص 03.

[4]- عبد الكريم كريم، **المرجع السابق**، ص 283.

[5]- نفسه، ص ص296-298.

المبحث الخامس: التطورات السياسية في عهد العلويين

نسب العلويين:

هم صرحاء الأشراف نسبا، شعبتهم المباركة ثلاثة أصناف منهم ملوك المغرب وسلاطين عظام، وكان قدومهم أولا إلى سجلماسة، وذكر الشيخ العالم الصالح سيدي ابراهيم بن هلال رحمه الله، أن وردهم كان في أوائل الدولة المرينية يعني في أواسط المائة السابعة، وقال الامام الحافظ العلامة أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني أحد أحفاد الجد المذكور أن ذلك سنة أربع وستين وستمائة هجري، وأول وارد منهم السيد الحسن بن القاسم عاشر الآباء من جل الموجودين منهم الآن [1].

نسب العلويين متصل بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأول ملوكها هو المولى محمد بن الشريف بن علي الشريف المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي بن الحسن بن محمد بن حسين الداخل بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن اسماعيل بم قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن [2].

الأشراف العلويون هم أبناء عمومة الأدارسة، يلتقون معهم في عبد الله الكامل بن الحسن، الذي يفصله عن الحسن الداخل، من الآباء سبعة عشر أبا، والعلويون لم يكونوا يعرفون قبل تأسيسهم لدولتهم بهذا الاسم ،وإنما عرفوا بالحسينين، نسبة إلى الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه وفاطمة رضي الله عنهما، ولعلهم اقتدوا بالأدارسة الذين ينسبون لإدريس بن عبد الله الكامل، كذلك تميزوا بالانتساب لعلي الشريف السجلماسي [3].

ظهرت الاسرة العلوية الشريفة، من سلالة الأسرة الهاشمية فرع الشجرة النبوية والأسرة العلوية الشريفة بعد عام 1660م بأربعة أعوام بعد القضاء على حكم الأسرة السعدية، وقد بدأ العلويون وهم سلاطين أشراف في الوقت نفسه على أنهم أصحاب حركة اصلاحية دينية لا تقل عن أية حركة اصلاحية ظهرت في العالم الاسلامي بل إنها تزيد عنها بنسبها النبوي الشريف وأول من دخل بلاد المغرب من الأسرة العلوية الحاكمة هو جدهم الأكبر المعروف بالحسن الداخل المغربي وذلك عام

---

[1] – محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعدية)**، تح: أحمد العماري ، ط1، دار المأثورات، الرباط، 1406هـ/1986م، ص 05.

[2] – الناصري، **المصدر السابق** ، ج7، ص08.

[3] – عبد الكريم الفيلالي، **المرجع السابق** ، ص55.

674هـ وهو الحسن بن القاسم أول من نزل بلاد المغرب ثم اتجه جنوبا إلى سجلماسة بعد قدومه من بلاد الحجاز متمسكا بالنسب الشريف العلوي [1]، وانتشرت أسرة الحسن الداخل في سجلماسة، ولما كان الضعف والانقسام داخل الدولة السعدية ونشوب الحرب بين أولاد المنصور الذهبي في طلب العرش فإن أهالي الأقاليم الجنوبية بايعوا المولى محمد الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي بن محمد بن الحسن الداخل إماما وقائدا على الاقليم ثم بايع أهل سجلماسة محمد بن محمد الشريف بالإمارة عام 1050هـ ووافق أبوه على ذلك[2] .

تعاون المولى الشريف مع أبي حسون في بادئ الأمر ولكن أبا حسون انقلب عليه وتوكل من القبض عليه غدرا، التف أهل سجلماسة حول ابنه محمد الشريف لأن أصحاب أبي حسون أساؤوا السيرة بها، فنجح مولاي محمد في طرد أبي حسون واستولى على درعة التي كانت تابعة له، وأصبح بذلك يسيطر على احدى طرق التجارة الإفريقية المهمة، ولكن كان بحاجة إلى منفذ لهذه التجارة على البحر ولم يكن أمامه سبيل إلى موانئ الأطلس بسبب قوة الدلائيين، فحاول السيطرة على محور سجلماسة "فاس" ولكن الدلائيين شعروا بخطره فحاولوا القضاء عليه والسيطرة على تفلالت، وعلى الرغم من دخولهم عليه إلا أنهم عمدوا إلى المهادنة ونجح المولى محمد بدخول مدينة فاس بمساعدة أهلها الثائرين على الدلائيين لكن هؤلاء نجحوا في طرده من فاس فتوجهت أنظاره نحو الشرق أملا في الوصول إلى منفذ على البحر عن طريق تلمسان ، وفي سنة 1659م توفي مولاي الشريف وحدث خلاف بين المولى الرشيد وأخيه المولى محمد الذي حدّد أهل سجلماسة بيعته، لكن أخاه الرشيد الذي كان ذا مطامع سياسية كبرى لم ترضه مبايعة القوم له ووقف في وجه أخيه بعد أن أتيح لمولاي الرشيد خلال تنقله في أنحاء المغرب بدءا من الجنوب فالأطلس الأوسط فمنطقة فاس فشرق المغرب أن يتعرف على أحوال المغرب وأن يدرس نقاط القوة والضعف فيها مما سيخدم مشروعه للوصول إلى السلطة، لكن اخاه المولى محمد تصدى له ووقعت معركة بين الاخوين بمنطقة سهول انكادا وكان من حظ الرشيد أن أول رصاصة انطلقت قتلت أخاه محمد عام 1075هـ/1664 م[3].

---

[1]- أحمد المنصوري ، **كباء العنبر من عظماء زيان و أطلس البربر**، تح : محمد بن الحسن ، ط1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط ، 1425هـ/2004 م، ص 113.

[2]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، **المرجع السابق** ، ص ص 251-254.

[3]– محمود علي عامر ، محمد خير فارس ، **تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر (المغرب الأقصى ليبية)** مكتبة الاسكندرية ، دمشق ، 2000م ، ص78-79.

وانفرد الرشيد بن محمد الشريف العلوي بالحكم وظل يحكم البلاد طوال (1075-1082هـ/1664-1683م) [1].

غادر المولى الرشيد سجلماسة وانتقل إلى زاوية أهل الدلاء ويبدو أنه لم تطب له الاقامة هناك فقد كان موضع شك من مسؤولي الدلاء، وكان الدلائيون يعانون من متاعب خطيرة فقد شاخ زعيمهم محمد الحاج، وكذلك هجمات الثائر غيلان وخرجت فاس من أيديهم بعد أن تسلط عليها أبو عبد الله الدريدي، وأدت أعمال القرصنة في سلا والرباط، ضد السفن الاوروبية إلى أن توقف أمداد الدلائيين بالأسلحة والذخائر، وانتقل الرشيد إلى جبل آصرو حيث أقام هناك ثم انتقل إلى الشرق مارا بفاس، واستقر في أحواز تازا لدى الشيخ أبي عبد الله اللوائي بعد أن أدرك الرشيد أن قوته لا تسمح له بمهاجمة فاس المستعدة، فتوجه إلى سجلماسة ودخلها بعد حصار تسعة أشهر، وعاد الرشيد مسرعا إلى تازا سنة 1665م، ثم بعد ذلك توجه الرشيد إلى الريف للتخلص من الشيخ أعراس، وبالفعل نجح في التغلب عليه، ومن ثم توجه الرشيد إلى فاس سنة 1666م، واقتحمها وقتل زعمائها وعامل أهلها معاملة حسنة فبايعوه، ومن ثم توجه الرشيد إلى القضاء على الدلائيين سنة 1668م وانتصر عليهم ودخل عاصمتهم وأمر بنقل زعيمها محمد الحاج وأولاده وأقاربه إلى فاس، ثم أبعدهم إلى تلمسان، وأمر بهدم الزاوية وطمس معالمها [2]

أصبح طريق مراكش مفتوحا أمام المولى الرشيد فاستولى عليها سنة 1669م ولم يبق أمامه سوى السوس، فبعد أن توفي أبو الحسون السملالي سنة 1671م، وخلفه ابنه أبو عبد الله محمد فهاجم الرشيد سوس 1671م واستولى على تارودانت ومن ثم انصرف الرشيد إلى تكوين جيش خاص ليساند حكم أسرته، واتجه إلى تنشيط الحياة فأمر بضرب سكة جديدة (السكة الرشيدية)، ولكنه لم يستمتع باستقراره فقد توفي 1672م بمراكش، وهكذا كان دخول الرشيد بن الشريف إلى مراكش عاصمة الأسرة السعدية وقضاءه على حكم الشبانات بداية ظهور الأسرة العلوية [3].

[1]- عبد الرحمن بن زيدان ، **الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، المطبعة الاقتصادية بالرباط ، 1973م ، ص 18.

[2] - محمود علي عامر، محمد خير فارس ، **المرجع السابق** ، ص ص 79-80.

[3]- نفسه، ص 82-83.

ليتولى بعده المولى اسماعيل[1] أمام الحكم (1672-1727م) لتوطيد دعائم الدولة وفرض هيبتها والذي اتخذ مدينة مكناس عاصمة له فيما بعد، فلما تمت مبايعته نهض بالبلاد واخضاع من كان خارجا عن الطاعة من أهل السوس وقبائل البربر، ليتفرغ إلى الأجانب المحتلين بشواطئ المغرب، فسار إلى المهدية و خلصها من الاسبان، ثم أرسل جيشا لحصار العرائش وأصيلا وفي ذلك الوقت ورد الخبر بإخراج الانكليز من طنجة سنة 1684م بعد محاولات كثيرة فقد كانت أكثر عرضة لهجمات المجاهدين المغاربة خاصة المجاهد غيلان ولكن اصطدامه مع المولى الرشيد أضعف موقفه فسعى إلى التقرب من الانكليز في طنجة وانتقل منها إلى الجزائر وفشلت محاولات الانجليز مع الرشيد وبعد اشتداد الحصار وسوء مركز الحامية البريطانية و سبب الخلاف بين البرلمان والملك إلى اخلاء طنجة، واكتفى المولى اسماعيل بمراقبة عملية الجلاء دون أن يتعرض لهم [2].

ونجح المولى اسماعيل في تحرير العرائش وكان الاسبان قد حصلوا عليها عليها من محمد الشيخ السعدي وفي سنة 1691م [3]، حرر أصيلا، وأمر بتشديد الحصار على سبتة ومليلة، وانصرف الى الصحراء فدخل بلاد السودان، واستولى عليها فامتدت حكومته إليها جنوبا وشرقا إلى بسكرة من بلاد المغرب الأوسط، وبذلك اتسعت مملكته، وعظم صيته وهكذا ساد الأمن وعم العدل [4]. وبعد أن واجه المولى اسماعيل خلال ربع قرن ثورات مختلفة عبر أنحاء المغرب كانت على نوعين: ثورات تزعمها أفراد من أسرته كان أخطرها ثورة ابن أخيه أحمد بن محرز الذي تحالف مع الحران أخي المولى اسماعيل، تلاها ثورة بعض إخوة السلطان ثم أولاده، أما النوع الثاني فكان ثورات القبائل وكانت لأسباب عديدة كون المولى اسماعيل أرهق البلاد بالضرائب لسد حاجيات جيشه فكانت ثورات بربر الأطلس الأوسط وجبل فازاز آيت عطا في الجنوب أخطر الثورات ولكن مولاي اسماعيل استطاع

---

[1]- عبد الكريم بن موسى الريفي، **زهر الأكم**، مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى بن عبد الله بن المولى إسماعيل، تح: أسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م، ص23.

[2]- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، د.د.ن، د.ب.ن، د.س.ن، ج1، ص ص 269 270. وللتوسع أكثر حول المولى اسماعيل بن الشريف، انظر مولاي عبد الرحمن بن زيدان، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل بن الشريف** ، تح: عبد الهادي التازي، ط1، مطبعة اديال، الدار البيضاء، 1413هـ/1993م. عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، عهد العلوين** ، الهيئة العامة مكتبة الاسكندر، المغرب، 1708هـ/1988م، مج 09، ص 54.

[3]- ابراهيم حركات، **المرجع السابق**، ج3، ص44 .

[4]- عبد الله كنون، **المرجع السابق** ، ص 271 .

إخضاعها بواسطة جيشه القوي وتجريد القبائل من وسائل الحرب وإقامة القلاع في مناطقها وبموته دخلت البلاد في اضطرابات متوالية من جراء تدخل الجيش في السياسة الداخلية في البلاد [1]

وقد انقسمت البلاد بعد مقتل يزيد وبايعت ثلاثة سلاطين، بايع أهل الحوز ومراكش مولاي هاشم، وبايعت بلاد الهبط والجبل في الشمال المولى مسلمة، وبايعت فاس ومكناس وقبائل الغرب وسلا و الرباط المولى سليمان، واستمر الصراع بين الإخوة أربع سنوات حتى استتب الأمر للمولى سليمان سنة 1796م، وسجلت السنوات 1805-1810م أوج حكمه، ولكن الانهيار بدأ منذ سنة 1811م، فقد مني صراعه مع بربر الأوسط ثم مع الشراردة في الجنوب بهزائم ثقيلة لتعم الفوضى في البلاد [2].

ليتولى الحكم بعده المولى عبد الرحمن بن هشام (1238-1276هـ/1823-1859م) بعد أن عاهد أهل فاس بالبيعة إليه، ثم من بعده محمد بن عبد الرحمن [3]، وصولا إلى المولى الحسن بن محمد التي كانت الأوضاع في فترة حكمه غير مستقرة، وعرفت تنافس الدول الاوروبية على ملكه والذي قام بعدة اصلاحات ، ومن مزايا مولاي الحسن أنه هيأ لمنصب المسؤول الأول في الدولة أثناء قيامه بالخلافة عن والده بمنطقة مراكش، وبعد بيعته تحرك باتجاه فاس، قام بإخماد الفتن واستخلاص الجباية وفض النزاعات، وكان معظمها الأطلس و المغرب الشرقي وسوس ثم تافيلالت والحوز [4].

وبعد تولي المولى عبد العزيز الحكم بعد وفاة والده المولى الحسن [5]، قام بأمر الدولة وزيره المقتدر أحمد بن موسى الذي استطاع أن يحافظ على اسقلال البلاد، وبعد أن اتفقت الدول الاستعمارية على اقتسام الشمال الافريقي، على أن يكون المغرب من نصيب فرنسا، وشماله من نصيب اسبانيا، فكان احتلال وجدة من قبيل الفرنسيين بدعوى الثأر وحماية السكان الاوروبيين وهكذا ثارت القبائل

[1]- محمود علي عامر ، محمد خير فارس ، **المرجع السابق** ، ص ص86-92 .

[2]- الناصري، ج 8 ، **المصدر السابق**، ص86 .

[3]- شوقي عطا الله الجمل ، **المرجع السابق** ، ص ص233-240 .

[4]- ابراهيم حركات ، ج3 ، **المرجع السابق** ، ص ص 256-258. للتوسع حول السلطان حسن أنظر محمد العربي معريش ، **المغرب الأقصى في عهد الحسن الأول** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1989م، ص ص 26-111.

[5]- عبد الرحمن بن زيدان العلوي ، **العلائق السياسية للدولة العلوية** ، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م، ص 259.

المغربية على السلطان عبد العزيز، ثم ثارت بعده المولى عبد الحفيظ، لكن دخول الجيوش الأجنبية كان سببا في إعلان الحماية على البلاد سنة 1912 م [1].

[1]- محمد الأمين محمد ، محمد علي الرحماني ، **المرجع السابق** ، ص254 .

الفصل الأول :

الحياة الإجتماعية والثقافية في مدينة فاس

المبحث الأول : نشأة مدينة فاس وتطورها العمراني في القرن 15-19م

المبحث الثاني : الحياة الإجتماعية في مدينة فاس

المبحث الثالث : المراكز الثقافية والدينية في مدينة فاس

المبحث الأول : نشأة مدينة فاس وتطورها العمراني (19/15 م)

نشأة مدينة فاس:

اختلفت الروايات حول نشأة مدينة فاس وحول مؤسسها فحسب الرواية التقليدية أن من أنشأ فاس إدريس رحمه الله حينما نزح من المشرق إلى المغرب وبعد استقراره و نجاحه في تحقيق نفوذه وتوسيعه [1].

ولم يلبث الخليفة العباسي هارون الرشيد أن علم باستقرار إدريس الأول [2] ونجاحه، فتوجس منه خيفة وعزم على إهلاك هذا الخصم، فأوفد لهذا الغرض إلى المغرب رجلا يدعى سليمان بن جرير، تمكن من الحظوة بثقة إدريس وسمه عام 177هـ/793م [3].

وترك إدريس أمة بربرية اسمها كنزة حاملا منه، فولدت بعد وفاته بشهرين ابنا سمي كذلك إدريس، فنشأ في حضن مولى أبيه حتى بلغ الحادية عشر من عمره (188هـ/804م) بايعه برابرة اوربة رئيسا لهم وهم في ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب و أكثرها عددا [4].

وانتشر خبر تأسيس دولة إدريسية بالمغرب بعض الآمال عند المعارضين من الدولة العباسية، فأتى العرب بكثرة من الأندلس وإفريقية ليتكتلوا حول إدريس بن إدريس في وليلي فلقوا منه قبولا حسنا جدا [5].

---

[1]- روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية** ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1416هـ/1995م، ج 1، ص55.

[2]- **إدريس الأول**: هو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، ومن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم حينما وصل إدريس إلى إلى المغرب توجه إلى طنجة وما إن بويع حتى كون جيشا من قبائل زناتة و أوربة وصنهاجة وهوارة ، كان سنيا مالكيا، ويعتبر هو أن إدريس الأول هو المؤسس الأول لفاس وأن إدريس الثاني هو من أضاف إليها عدوة القرويين. **معلمة المغرب**، المرجع السابق، ج1، ص261.

[3]- علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، المغرب، 1972م، ص 09.

[4]- أحمد بن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس** ، دار المنصور ، المغرب ، 1973م ، ص20.

[5]- روجي لوطورنو، **المرجع السابق**، ص 55.

وقد ضاقت مدينة وليلي برعاياها، فطلب إدريس من وزيره أن يبحث عن مكان لائق للعاصمة، فلم يجد مكانا ليبني فيه مدينته فخرج بنفسه يتخير البقاع فوصل إلى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب هوائه وتربته فبنى فيه لكن رجع وعدل عن مشروعه [1]، وألقى كل ما كان هناك في نهر سبو وهدم السور والدور، وخرج للبحث عن موضع آخر فانتهى إلى نهر سبو حيث هي اليوم " حمة الخولان " فأعجبه الموضع لقربه من الماء، ولأجل الحمة التي هناك (والحمة كما في القاموس هي كل عين فيها ماء حار ينبع منها ويستشفى به) فعزم إدريس أن يبني هناك مدينته لكن مرة أخرى تراجع وكف عن البناء حتى وصل إلى موقع فاس اليوم، فنظر فإذا ما بين الجبلين غيضة ملتفة بالأشجار وفيها العيون والأنهار وفي جانب آخر منها خيام من شعر لقوم زواغة وزناتة، وكان قوم زواغة يعرفون ببني الخير وقوم زناتة يعرفون ببني يرغش، وكانوا غير مسلمين، وكانا دائما يقتتلان فيما بينهما، فجاء إدريس وأصلح بينهما وأسلما على يده واشترى منهما الغيضة بستة آلاف درهم فرضوا بذلك ودفع لهم الثمن [2].

و لما عزم الإمام إدريس رضي الله عنه على بناء مدينة فاس بعد أن اختبر تربتها وهوائها ورياحها و مائها، وتحقق بعدها من الصحراء والبحار والجبال الشامخة، وعلم أن ذلك مما يأمن به سكانها، فاختط عدوة الأندلسيين وبعد ثلاث سنوات اختط عدوة القرويين و بنى مساكنه بها، وانتقل إليها وقد أقام وأدار سورا حول عدوة الأندلس ثم أمر ببناء مسجد قرب بئر وهو جامع الأشياخ، وانتقل إلى عدوة القروين وأخذ في بناء جامع الشرفاء [3].أنظر الملحق ر (01) ص108.

سميت عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان بها، وسميت عدوة الأندلس بهذا الاسم لنزول العرب الوافدين من الأندلس بها [4].

وصنع بابا وسماه باب الفصيل، وهو الباب الذي يخرج منه إلى ما بين المدينتين وهذا الباب باب فاصل بين العدوتين، فجاءت مدينة عدوة القرويين متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين

---

[1]– عبد الرحيم الورديغي، **فاس في عهد الاستعمار الفرنسي 1912–1956م** (ملامح من مدينة فاس، أصولها .. تغيراتها، حالاتها الاجتماعية والسياسية)، ط1، دار المعارف الجديدة، المغرب، 1992، ص09.

[2] - ديكودي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، دار المدارس، المغرب، 1989م، ص19.

[3]– الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – الدولتان المرابطية و الموحدية** ، تح : جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، المغرب ، 1997 م ، ص 222.

[4]– أحمد بن القاضي المكناسي، **المصدر السابق** ، ص32.

والأرجاء لها ستة أبواب، وابتدأ سور عدوة الأندلس من جهة القبلة، فبنى بها باب الفوارة هناك ومنه يخرج إلى مدينة سجلماسة [1].

هذه الرواية التقليدية لتأسيس التي كانت مقبولة من لدن علماء فاس بينما هناك اعتراضات حديثة عن تأسيسها حيث يؤكد أبو بكر الرازي أن إدريس ين عبد الله دخل المغرب في رمضان سنة 172هـ/789م هاربا بنفسه من أبي جعفر المنصور، فنزل موضعا يقال له وليلي بوادي الزيتون، فاجتمعت إليه قبائل من البربر، فقدموه على أنفسهم، وبنى مدينة فاس، و لما احتفرت أساساتها ألقي في بعضها فاس فسميت بمدينة فاس، ولم تطل أيامه حتى هلك و ترك جارية حاملا منه فولدت بعده ابنا سمي إدريس بن إدريس ملك بعد أبيه مدينة فاس و هناك نص آخر يؤيد النص السابق و هو قول ابن سعيد في كتابه المغرب :" فاس – مدينتان إحداهما بناها إدريس بن عبد الله أحد خلفاء الأدارسة بالمغرب وتعرف بعدوة الأندلس، والأخرى بنيت بعدها وتعرف بعدوة القرويين "[2] .أنظر الملحق ر(02) ص109.

وهناك نصان آخران يزيدان في هذه التوضيحات: الأولى من تأليف المؤرخ الأندلسي أبي الحسن النوفلي ذكره الجغرافي البكري يقول: " في عام 192هـ/808م جاء إدريس الثاني ليقيم بمدينة فاس في عدوة الأندلس، وهنا نرى أن مدينة فاس كانت موجودة، فأقام بها شهرا، وكانت عدوة القرويين لهذا العهد مليئة بالأشجار تحيط بها خيام قبيلة زواغة، فاستدعوا إدريس فدخل إلى أرضهم وأسس مدينة القرويين عام 193هـ، وهو دليل آخر على أن مدينة فاس كانت موجودة قبل عام 192هـ "[3].

أما تأسيس مدينة فاس[4] حسب النقد الأوروبي : فأول مؤسس لفاس هو إدريس بن عبد الله (إدريس الأول) وليس ابنه، إذ لاشك أنه ضاق به المكان في وليلي التي جلب إليها نجاحه على الفور جمهورا غفيرا من الناس فأسس مدينة جديدة، إذ لو اكتفى بوليلي لكان ذلك منه كاعتراف

---

[1]– الفاسي، **المصدر السابق**، ص40.

[2] - أبو العباس القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المطبعة الأميرية، 1915م، مصر، ج5، ص153.

[3]– روجي لوطورنو، **المرجع السابق**، ص56 .

[4]– **فاس**: حاضرة المغرب التاريخية وعاصمة من عواصمه الكبرى تحتل في جغرافيته وفي تاريخه مكانة متصدرة توجد في ملتقى الطرق التي تحكمت في تاريخ المغرب منذ القدم ، فقد أقيمت المدينة بين مقعر من الأرض بين جبلي زالاغ وتغات الذين يحميانها من جهة الشمال وبين جبل كندر المنتسب إلى الأطلس المتوسط الذي يحميها من جهة الجنوب كما أقيمت وسط سهل سياسي الذي هو من أخصب سهول المغرب، وتمتد أحياؤها على ضفتي نهر فاس الذي رافد من روافد نهر سبو الكبير، أنظر **معلمة المغرب**، **المرجع السابق**، ج 19 ، ص 6394.

بعجزه، ولم يكن إدريس الأول الوقت الكافي لتطوير المدينة، ومع ذلك فإن موت إدريس لم يؤد إلى اضمحلالها، وفي هذه الأثناء كان إدريس الثاني ينمو تحت رعاية مولاه راشد، فمن السهل إذن إدراك أن إدريس وأصحابه العرب لم يعودوا يشعرون بالأمن في وليلي وفكروا في الاقامة في فاس التي كان يوجد فيها استقرار حيث يعيش بربر مخالفون لأوربة [1].

وقد ازدهرت مدينة فاس أيام إدريس الثاني ومن خلفوه حيث بني في عهدهم مسجد القرويين على يد فاطمة الفهرية ثم عاشت فاس، كذلك في عهد المرابطين و الموحدين و المرينين وخصوصا في عهد المرينيين والعلويين عصرا من الازدهار وإنشاء العديد من المؤسسات الثقافية [2] .

فقد تشكلت فاس الجديد في عهد المرينيين بسبب ضيق القصبة الموحدية لإيواء الجنود المرينيين وجميع أتباعهم، ثم الرغبة النفسية في إثبات مشروعية التجديد، ولقد حققت ذروتها وازدهارها في عهد بني مرين و السعديين و العلويين، ومن هنا نقول أن فاس كانت مدينتين عدوة الأندلس التي تعود في الأصل إلى إدريس الأول الذي لم يستطع إكمالها بسبب اغتياله، وعدوة القرويين التي تعود إلى إدريس الثاني، وتشكل مجموعها فاس البالي وفاس الجديد أو المدينة البيضاء أو البلد الجديد الذي أسس في عهد بني مرين [3] .

وأما بالنسبة لتسمية فاس بهذا الاسم فهناك عدة آراء وهي كالآتي :

حيث يذكر الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا : "أن فاس سميت بهذا الاسم لأنه عثر في أول يوم شرع في حفر الأرض لإرساء الأسس على كمية من الذهب تحمل بالعربية اسم فاس " ويقول كذلك : " أن البعض يرى أن المكان الذي أسست فيه المدينة كان يحمل اسم فاس بسبب النهر الذي يخترقها إذ أن النهر بالبربرية يقال له "ساف" فقلب هذا اللفظ " فاس "[4] .

وكذلك يذكر أن إدريس لما شرع في حفر أساس السور كان يحفر بواسطة فاس ولكثرة ترديد كلمة فأس تم إطلاق اسم فاس على المقر الجديد، ولكن بدون همزة وهذا ما قال عنه الجزنائي في كتابه جنى زهرة الآس :" أن الإمام إدريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة

[1]– روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص61.

[2]– عبد الرحيم الورديغي، **المرجع السابق** ، ص07.

[3]– عبد الباسط المستعين، **المعالم العمرانية لفاس الجديد المرينية** ، دورية كان التاريخية ، ع 7، 2010 م، ص19.

[4]– الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي، **وصف إفريقيا** ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م ج 1 ، ص 219.

فصنع له بعض خدمه فأس من ذهب، فكان يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به الأساسات للفعلة فكثر ذكر ذلك الفأس على ألسنتهم في طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون : هاتوا الفأس، خذوا الفأس، احفروا بالفأس، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك" وقال صاحب الاستبصار وهذا والله أعلم لا يصح لأن إدريس رضي الله عنه لا يجهل أن استعمال الذهب محرم على الرجال"[1].

ويقال أنه لما شرع في حفر أساسها من جهة القبلة وجد في الحفير فاس كبير طوله أربعة أشبار، وسعته شبر، وزنته ستون رطلا من عمل الأوائل، فسميت المدينة به وأضيفت إليه، ونقل معناه المظفري وقيل : أنه لما تمت بالبناء قيل للإمام إدريس: كيف تسميها ؟ قال أسميها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها مدينة أزلية فخربت قبل الاسلام بألف عام وكان اسمها "ساف" ولكني أقلب اسمها وأسميها "فاس "[2].

التطور العمراني لمدينة فاس:

لم يكن العرب يقيمون المدن اعتباطا وإنما يمارسون ذلك بعد أن يرسموا تخطيطا التي على أساسه تنشأ، ويمكن أن تعد مدينة فاس نموذجا جيدا لتخطيط المدن الإسلامية التي أنشأها العرب في الأقطار المختلفة فهي تجمع بين الأغراض المدنية، حيث الوحدات العمرانية المختلفة التي تؤدي الوظائف العديدة كالسكان إلى جانب التحصينات العسكرية والأعمال المدنية التي شيدت بها، أول شيء تأسس واختط بها من التكوينات العمرانية كان المسجد، وهو من جهة نظر فقهية من المميزات الحضرية للمدينة الإسلامية حيث يقام في أكثر أجزاء المدينة سهولة في الوصول مما يشكل وظيفيا وعمرانيا نواة المدينة [3].

أسس إدريس الثاني عدوة الأندلس وابتدأ سورها من جهة القبلة وفتح هناك بابا سماه بباب القبلة، وبنى جامعا المعروف بجامع الأشياخ، ومر بين الموضع المعروف بالفوارة وموضع زيتون ابن عطية وفتح هناك بابا سماه باب الفوارة، وبعد أن أسس عدوة القرويين أخذ في بناء جامعها وهو المسجد المعروف باسم جامع الشرفاء، ثم ضرب الإمام أخبيته وقبابه بالموضع المعروف بجرواوة من عدوة

---

[1]– الفاسي، **المصدر السابق**، ص45 .

[2]– علي الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ، ط2 ، المغرب ، 1991م، ص24.

[3]– جمال أحمد طه، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين** دراسة سياسية وحضارية (448هـ/1058م) (668هـ/1269م) ، ط1 ، دار الوفاء ، مصر ، ص48 .

القرويين اختط داره بالموضع المعروف بالمقرمدة وأخذ في بناء داره دار القيطون[1].أنظر الملحق(03)ص110.

وكان الإمام إدريس رحمه الله قد أمر الناس ببناء الدور والغرس ونادى فيهم أن كل من بنى موضعا واغترسه قبل تمام بناء السور فهو له هبة الله تعالى، ولما فرغ من بناء أسوار المدينتين وجامعي خطبتيهما أنزل القبائل الوافدين عليه من جزيرة الأندلس بعدوة الأندلس، وأنزل الوافدين من القيروان بعدوة القرويين وأمرهم بزيادة البناء والغرس، فبنى الناس الدور والمساجد والحوانيت، فظهرت البركات وزادت الخيرات والعمارات، وقد ساعد على سرعة عمران المدينة كثرة الأشجار التي وفرت للناس كل ما يلزمهم من الخشب، حيث كان الرجل يختط مكان داره وبستانه ويقطع منه الخشب ويبني به دون أن يحتاج إلى خشب غيره [2].

وقد تشكلت فاس الجديد[3] في العصر المريني من ثلاث وحدات كبرى وقد تأسست في مراحل تاريخية متفاوتة لكن متقاربة وهي كالآتي :أنظر الملحق ر(04) ص111.

1/ المدينة البيضاء: وهي دار الإمارة أو دار الملك التي اتخذها السلطان المريني مقرا لأعماله ومركز قراراته السياسية والعسكرية، وقد كانت معدة لسكنى السلطان وذويه وهي أول ما أسسه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، أما القسم الخاص منها بعامة أشياع الدولة والمرافق العامة التي تحتاجها المدينة يظهر أن تأسيسها تأخر وهي آخذة من شمالي ربض النصارى إلى ضفة النهر ويقع أول عمارة فاس الجديد قبالة آخر عمارة فاس العتيقة [4].

2/ ربض النصارى: تقع قبالة فاس القديمة على بعد من ضفة الوادي من غير مسامتة و لا مد، و يحدد وظيفتها في أنها كانت لسكنى الطائفة الفرنجية المختصة بخدمة السلطان.

---

[1]- الجزنائي، **المصدر السابق** ، ص24.

[2]- الفاسي، **المصدر السابق** ، ص ص 46-49

[3]- **فاس الجديد**: وضع الحجر الأساس لبناء فاس سنة1267م وقد تضافرت عدة عوامل حفزت السلطان المريني أبا يوسف يعقوب على بنائه، وقسم تخطيطها المجالي إلى ثلاثة أقسام : البلد الجديد، مدينة حمص ، ربض النصارى ، مرافق المدينة الأخرى أنظر **معلمة المغرب، المرجع السابق**، ج 24، ص242

[4]- علي بن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** ، د.د.ن ، د.ب.ن ، د.س.ن ، ص161.

3/ حمص: وهي الوحدة الأخيرة من الوحدات الثلاث الكبرى التي تشكل فاس الجديد، ويعرف موضعها بالملاح بناه أبو سعيد عثمان أبي يوسف، ويحدد موقعها من جهة نهر بالشمال على جانب فاس الجديد آخذة إلى ربض النصارى عقد على الوادي قناطر وبنيت حمص على ضفته وهي فوق الجميع لأن الوادي منها ينحدر[1].

أما عن القصور فهناك القصر الرئيسي من أولى المنشآت بالمدينة بعد بناء السور وهو بناية ضخمة تشغل مساحة شاسعة، تعكس قوة الدولة وسيطرتها، ويتجلى ذلك في الأوصاف التي خلفتها المصادر حيث يصف العمري هذا القصر قائلا: "وهو عالي البناء ذو القباب عليه ضخمة لائقة بالملوك وغرف مرتفعة، ورفاف علوية، ومجالس سلطانية، وبداخله القبة المعروفة بقبة الرضا، وهي قبة عظيمة الارتفاع، خارقة الاتساع، وأمامها بركة ممتدة بها مركب لاتساعها وكبرها وخلفها بركة أخرى مثلها، ومساحة المركبين واحدة، والقبة العظمى بينهما، وفي نهاية كل بركة قبة وبستان حاف بالجميع فيه أصناف من الأشجار والغراس على اختلافها أما قصر الدار البيضاء فهو أحد القصور الذي شيد بالبلد الجديد وهو قطعة أو دار الدبيبغ التي يقال لها الدار البيضاء[2].

وبالنسبة لتحصينات المدينة فهناك الأسوار التي تحيط بها وهذا تحصينا وضمانا لها من كل عدوان خارجي، كانت فاس العتيقة أقل تحصينا من فاس الجديد، فالعتيقة بسور واحد من الحجارة، وفاس الجديد بسورين من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب، وهو أشد من الحجر ولا تعمل فيه المجانيق ولا تؤثر فيه، والسور الثاني فيبدو أن أبا سعيد المريني الأول أدار الستارة على مدينته الجديدة[3].

وبفاس الآن من الأبواب: باب الفتوح، باب الخوخة، باب بني مسافر، باب الجيسة، باب يصليتن، باب يدخله الفارس بالعلم العالي، والرامح بالرمح الطويل، وسمي باب المحروق، باب المطمر المتصل من أبوابها بالقصبة، باب الوادي الذي هو لدخول الخلفاء وخروجهم المتصل أيضا بالقصبة، باب الحديد، باب زيتون ابن عطية، باب الجيزيين، والمفتوح منها الآن خمسة[4].

---

[1]- روجي لوطورنو، **فاس في عصر بني مرين** ، تر : نقولا زيادة ، فرنكلين للطباعة والنشر ، لبنان ، 1967م ، ص27.

[2]- الفاسي ، **المصدر السابق** ، ص161.

[3]- عبد الباسط المستعين، **المرجع السابق** ، ص 22.

[4]- الجزنائي، **المصدر السابق** ، ص 43.

وقد كانت للأبواب من قبل وظائف عسكرية فهي تضم أهم أبراج المراقبة وتعد أحد أهم نقاط الحراسة مثل باب القنطرة، الذي تحول اسمه إلى باب الوادي، والقريب من باب السبع وباب عيون صنهاجة في الطرف للسوق [1].

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية في فاس

البنية السكانية:

كان سكان مدينة فاس الأوائل مكونين من ثلاثة عناصر متباينة، عرب جذبتهم مكانة الأسرة الإدريسية، وبربر من أهل المنطقة، وفئة من غير المسلمين اليهود والمسيحيين ، وقد انضم إليهم بعد فترة وجيزة فئتان فئة جاءت من قرطبة ، والثانية من القيروان [2].

هناك المسلمون واليهود الذين أعطوا صبغة لسكان مدينة فاس، وبالتالي يتكون مجتمع مدينة فاس من عدة عناصر:

أ/ **البربر**: هم الغالبية العظمى التي يتكون منها سكان مدينة فاس، وكان لعدة قبائل بربرية دور كبير في إنشاء المدينة مثل : اوربة، صنهاجة، زناتة، مصمودة، هذا بالإضافة إلى أنهم قاموا بالسيطرة على مقاليد الأمور وحكم مدينة فاس لفترات طويلة متقطعة في البداية بعدما ضعف حكم الأدارسة وانتهى واستقر الأمر بالنسبة للبربر في حكم مدينة فاس مرورا بالزناتيين و المرابطين لمتونة و الموحدين، بالإضافة إلى القبائل لواتة و مغيلة و جراوة واوربة وهوارة وغيرهم، واقتطعوا الجهات فنزلت كل قبيلة جهة مثل حارة لواتة وحارة الربط، وتركزت القبائل البربرية في عدوة الأندلس و وجود أماكن أو حارات بأسمائهم يدل على أنهم موجودون من بداية نشأتها وبعد أن زادت قبائل البربر بعدوة الأندلس بني بها حمامات تدل أسمائها على أنها أسماء بربرية مثل حمام جراوة وحمام الكدان و حمام الجزيرة [3].

ب/ **العرب**: وهم العنصر الثاني في مدينة فاس بعد البربر، وقد جاء العرب إلى بلاد المغرب في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وذلك لنشر الدين الإسلامي، وهذا ما نجده عند إدريس بن إدريس على جذب العرب إلى مدينة فاس، فوفدت عليه الوفود العربية من كل

---

[1]– عبد الباسط المستعين، **المرجع السابق** ، ص 20.

[2]–روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص20.

[3] -علي محمود عبد اللطيف الجندي، **مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين** ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، 1425هـ/2004م ، ص ص218 - 220

مكان، فقد قصد مدينة فاس كثير من العرب سواء من القيروان أو من الأندلس فأكرمهم وجذب القادة منهم إليه.

ج/ **اليهود**: دخلت الأفكار اليهودية إلى بلاد المغرب على يد يهود اليمن و المهاجرين خوفا من الاضطهاد الروماني، سكن يهود اليمن في العادة في الجبال وسكن يهود الشام جزيرة جربة حيث توجد بقاياهم إلى الآن، كما استقروا في مدينة جادوا، كما وجدوا أيضا في مدينة أغمات حيث كان لهم نشاط كبير في التجارة الخارجية و الداخلية، كما انتشروا في مدينة القيروان وكان لهم سوق خاص بهم، ويذكر البكري أن مدينة فاس أكثر بلاد المغرب سكانا باليهود ينتشرون منها إلى جميع الآفاق.

د/ **النصارى**: انتشر النصارى في معظم بلاد المغرب وخاصة في المدن الساحلية حيث كانوا يشتغلون بتجارة الزيتون، وفي مدينة فاس توجد بعض الإشارات التي تدل على وجودهم فإطلاق اسم الكنيسة على أحد أبواب مدينة فاس عدوة الأندلس [1].

هـ/ **الشرفاء**: لقد كان الشرفاء يحظون بقدر كبير من التقدير لأنهم أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم، رغم أن منهم الغني والفقير وينتمي بعضهم إلى أسر أكثر شهرة من غيرها .. وهناك من لديه شخصية قوية تسترعي الانتباه، وبفضل هذا يورث أبا عن جد يسمى بالبركة ، ويمكن أن تنعكس على كل من يقترب من الشخص المنتفع بها بنشر جو مساعد حولها يجعل الحياة الدنيوية أسهل ويذلل طريق السلامة، ومن هناك النفوذ الأكيد الذي يتمتع به الشرفاء وكذلك في المغرب كله، كذلك كان لهم نفوذ معنوي في المجتمع المغربي كانوا موزعين إلى عدة مجموعات حسب أصلهم، وتتميز قبل كل شيء من بينهم طبقتان كبيرتان : أعقاب الحسن من سلالة مولاي إدريس، وأعقاب الحسن، وينقسم الأولون إلى أسر عديدة : الأدارسة أي الدباغيون و العلميون والكتانيون والوزانيون والعلويون وينقسم أعقاب الحسين وهو أقل عددا إلى فرعين الصقليون ويسمون هكذا لأنهم جاؤوا من صقلية بعد أن أقاموا بالأندلس و العراقيون وأصلهم من بلاد ما بين النهرين، على كل رأس من هذين المجموعتين رئيس أو ممثل يسمى المزاور يوافق عليه المخزن كان له صلة وصل بين الشرفاء والسلطات [2].

[1]– علي محمود عبد اللطيف الجندي، **المرجع السابق** ، ص222

[2]– نفسه، ص 224.

و/ **العلماء**: وهم فقهاء جامعة القرويين، يلعبون دور مماثل للشرفاء رغم أنهم لا يتمتعون بالبركة لكن بالعلم، لم يكن نفوذهم مقتصر على الطلبة وإنما حتى العامل والحمال والسلطان.

ز/ **المخزنيون**: كانت سلطتهم زمنية محضة لا يتحملها الفاسيون.

بالإضافة إلى هاته الطبقات هناك أسر أندلسية، وكذلك أصحاب الدكاكين و الصناع، والموظفون الصغار [1].

العادات والتقاليد:

نبدأ بالتحدث عن بيوت الفاسيين والتي كانت تقليدية تدور على شاهة الدار الرومانية حول وسط يكون قبل قلبها، فكل البيوت متفتحة عليها فهو موضع المرور ولقاء سكان الدار وهناك الصالون المغربي الطويل المساحة وهناك بين الإقامة المخصص للضيوف، فيمكن أن يؤكل فيه وينام فيه، فالتأثيث عبارة عن تحف خشبية مستديرة عليها لحاف ومخدات مستقيمة، ففي وقت الأكل، توضع منضدات مستديرة تغلف بالبلاستيك لتوضع وسطها صحن يأكل من الضيوف بالأصابع بعد غسل الأيادي قبل وبعد الأكل وينتهي الأكل بشاي من النعناع يسكب في كؤوس مزخرفة [2].

لقد كانت البيوت ذات أنماط مختلفة وذلك تبعا لثراء المالكين، كان للبيت جدار إلى جهة الشارع وكان هناك ممر ضيق منخفض السقف بحيث يستحيل أن يرى وهو على العتبة ما يدور في العرصة، وبذلك يتاح للنساء الوقت الكافي للاختفاء لمجرد أن يجتاز الباب غريب، كانت الأرض من الرخام أو الزليج الملون، وقد يكون في وسطها بركة أو نافورة، كان هناك بيوت تتكون من طابق وأخرى من طابقين، ويتكون الأثاث من الفرش المكسوة بالقماش المطرز والوسائد التي كانت تدور بالجدران وقد تكسى أرض الغرفة بالسجاد، وكان هناك مكان مخصص لنشر الغسيل وتجفيف الفواكه والخضار ويعد مرحا للنساء اللواتي يجلسن للتمتع بالهواء المطلق وتبادل الحديث مع الجارات الأخريات، كان البيت الفاسي فسحة مغلقة على نفسها وموجهة نحو العرصة و الاتصال الخارجي كان يتم إما عن طريق الباب المؤدي إلى الشارع أو عن طريق الرفارف بالعالم، وكان كل بيت تسكنه أسرة واحدة، وكان هناك من يعيش وحده فينزل في الفندق ويكون إما مسافرا أو عاملا موسميا[3].

---

[1]- روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية** ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1416هـ/1995م ، ج2 ، ص702 .

[2] - عبد الرحيم الورديغي، **المرجع السابق** ، ص11

[3]– روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص96.

أما من ناحية الملابس فقد اختلفت وتنوعت حسب اختلاف طبقات المجتمع و هناك ملابس مشتركة وسائدة في داخل المجتمع التي تصنع عادة من الأقمشة الصوفية التي يشتهر بها سكان المغرب الأقصى، كانت طبقة الأعيان والخاصة يرتدون ملابسهم من الصوف ويتكون سترة ضيقة لها نصف أكمام توضع فوق القميص وفوقها عباءة واسعة ويغطون كل ذلك ببرنس بدون ما يغطي الأذنين ويلفون حول القلنسوة عمامة من كتان تدور مرتين حول الرأس وتمر من تحت الذقن، وكانوا يتردون الأقمشة الرفيعة المصنوعة من الكتان والقطن معا أو من الكتاب وحده وهذا النوع من القماش يعتبر من أحسن الملابس في المجتمع[1].

أما الطبقة الثانية طبقة العلماء والأعيان المتقدمين في السن فلباسهم من سترة عريضة الأكمام، والطبقة الثالثة عامة الناس فلباسم متكون من سترة وبرنس ولا يضعون على رؤوسهم سوى طاقية بسيطة، وفقراء العامة يرتدون ثوبا أبيض وعادة يكون من الصوف الرديء وبرانسهم من نفس النسيج، واللباس التقليدي حسب أوصاف ليون الإفريقي هو أحد الأشياء النادرة بفاس التي تغير شكلها كثيرا ما بين القرنين 16م/19م ويصف لنا الرجال وهم يغطون رؤوسهم بقلنسوة تشبه ما يضعه بعض الناس على رؤوسهم ليلا في إيطاليا (طاقيات النوم) لكن بدون ما يغطي الأذنين، ويلفون حول القلنسوة عمامة من كتان تدور مرتين حول الرأس وتمر تحت الذقن.

أما مارمول فيصف لنا لباس النساء الكريمات النسب عندما كن يخرجن، وخاصة أندلسيات الأصل لبسن سراويل طويلة متموجة جدا للتظرف، لأن لباسهن لا يصل إلا إلى منتصف الساق، وينتعلن خفين بقدر أقدامهن تماما، مصنوعين من الجلد المغربي الناعم جدا والمطرز بالحرير الملون[2].

أما في الشتاء فيلبس النساء السراويل الطويلة التي تغطي الرجل كلا ويغطين رؤوسهن و أجسامهن ويغطين وجوههن بنقاب من القماش السميك على أن يتركن فتحة العين، وكن يتحلين بالأقراط الذهبية الكبيرة المطعمة بالأحجار الكريمة، وبالأساور التي تزين كلا من المعصمين، أما النساء الأخريات غير جماعة النبلاء يضعن الأساور من الفضة كما كن يلبسن الخلاخيل[3].

ومن جهة أخرى فإن اللباس سواء بالنسبة للرجال أو النساء فقد تحمل عواقب تضخم الاستيرادات الاوروبية في النصف الثاني من القرن 19م فقد انتشر استعمال الطربوش المصنوع في

[1] - الحسن الوزان، **المصدر السابق** ، ص 252.

[2] – مارمول كاربخال، **إفريقيا** ، تر: محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة ، المغرب ، د.س.ن، ج 2 ، ص 149.

[3] – روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص 100.

اوروبا على حساب الشاشية التقليدية المصنوعة محليا ، كذلك كانت القشابة من الألبسة التي يفضلها أهل جبل زالغ وهي لباس أو رداء من الصوف مقفل من الأمام وبه غطاء من الرأس، وكان هناك نوعان من السراويل الأول ينتهي إلى أسفل الركبة، والثاني يصل إلى الكعبين، وهذه الألبسة كانت تتبدل مع الوقت وتفرض نفسها على المجتمع[1].

أما بالنسبة للأكل فقد كان أهل فاس يتناولون عادة ثلاث وجبات في اليوم :كانت الأولى تأتي بعد صلاة الفجر وتتكون من خبز وفاكهة وثريد أو عصيدة تزيد كثافتها في الشتاء عنها في الصيف، والثانية كانت تعقب صلاة الظهر، وتكون خفيفة في الشتاء وثقيلة في الصيف إذ تكون الفترة بين الوجبتين الأولى والثانية أطول، ويكون موعد الوجبة الثالثة بين صلاة المغرب والعشاء، وكانت تستهلك كميات كبيرة من الخبز وهذا كان يعجن في البيت ويخبز في فرن الحي، أو قد يعوض بالكسكس والسميد المفتول حبات دقيقة والمطبوخ على البخار، وكان الحليب ومستخرجاته مثل القشطة والزبدة والجبنة مما يشكل جزء هاما من الغذاء، وكان الفلاحون يحملون الحليب إلى المدينة، كما كانت الأبقار التي ترعى في أطراف المدينة طول النهار، وكانت الفواكه والخضار وخاصة الجزر واللفت، ولم يكن اللحم من المآكل التي يتناولها الفقراء يوميا بينما كان أهل الطبقة الوسطى ينعمون بقدر أوفى منها واللحم كان من الضأن أو الماعز والطيور كالدجاج وديك والسمك النهري وخاصة الشبوط[2].

ولقد كان الغذاء الرئيسي لأهل فاس هو الكسكسي والذي اقتبسوه من عند البربر واشتهر سكان المغرب باستخدام التوابل بكثرة في معظم وجبات الطعام بالإضافة إلى الخبز المكون من القمح والشعير[3].

بالنسبة لطريقة تحضير لحم الضأن، فقد كان يطحن في وعاء مقفل، وكان الرأس أحسن أكل من لحم الضأن[4].

يوجد بعض أنواع الطعام التي اختص بها سكان المغرب عامة وسكان فاس خاصة وهي : طعام "تارفست" يعجن من السميد، ويصنع منه أرغفة رقيقة ثم يخبز في فرن معتدل النار، ثم يفتت بدقة ثم

---

[1]- روجي لوطورنو، ج2 ، **المرجع السابق** ، ص ص 718-721 .

[2]- نفسه، ص98.

[3]- علي محمود عبد اللطيف، **المرجع السابق** ، ص243.

[4]- روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص 98

يوضع عليه عسل منقى و زعفران ثم يحرك حتى يصبح معجونا ثم ينثر عليه لوز مقسوم بكثرة ثم يحرك ثم مرة ثانية حتى يصبح معجونا مخلوطا ثم يصنع وسطه حفرة تملأ بالسمن أو الزبدة ويذر عليه سكر وقرفة وهو من أطعمة أهل مدينة فاس، وطعام من نوع أحرش يسمى " سفيريا " وهو عبارة عن لحم غنم أحمر يدق جيدا يوضع عليه التوابل ويسير من البيض بقدر ما يلتف به الجميع ثم يصنع منه قرص على قدر الكف ويقلى في الزيت حتى يحمر ثم يضاف له مرقة بالخل والزيت والثوم[1] .

وكان أهل فاس يتناولون طعامهم مشتركين حول مائدة منخفضة ، أما الضيوف يجلسون على وسائد ويتناولون الطعام، كذلك كانت عادتهم أن يتناول الرجال الطعام في غرفة، والنساء في غرفة أخرى، وكانوا يتشددون في تطبيق هذا التقليد عند وجود ضيوف في البيت [2].

أما عن المناسبات الهامة في حياة الأسر الفاسية فكانت الزواج والولادة والتطهير والوفاة، وكذلك الاحتفالات الدينية مثل صلاة الجمعة والاحتفال برؤية هلال شهر رمضان، وكان يتم إحياء شهر رمضان بالخروج إلى المساجد وتتصاعد أعداد قاصديه ويحرص المسلمون على أداء صلاة التراويح وقيام لياليه والاستماع للقرآن والذكر وإحياء ليلة القدر وفي هاته الليلة تقدم وجبات الطعام وتؤخذ عند الغروب ثم في آخر الليل وكانت تكثر الدعوات عند تناول الإفطار والاحتفال بعيد الفطر وتقديم زكاة الفطر وعيد الأضحى ونحر الأضاحي ويحتفل بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالإضافة إلى هذا هناك عادات أخرى وهي نظم الشعر، وكذلك كان هناك طائفة من السكان لهم طريقة في البكاء على الميت وهي عبارة عن اجتماع النساء مرتديات لباس خشن ويلطخن وجوههن بسواد القدور ثم تأتي جماعة من ضاربي الدفوف ينشدون أنظاما حزينة في رثاء الميت، يدوم في ذلك سبعة أيام، وبعد أربعين يوم يستأنفن البكاء يحدث هذا إذا فقدت المرأة الزوج أو الأب أو الأم أو الأخ [3].

عندما ألقى إدريس بن إدريس أول خطبة له ونزل من على المنبر سارع الناس لبيعته، وازدحموا عليه يقبلون يديه وهذه العادة متبعة إلى اليوم[4].

---

[1] - علي محمود عبد اللطيف، **المرجع السابق** ، ص 244.

[2] - روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص99.

[3]- الحسن الوزان، **المصدر السابق**، ص 260.

[4]- الفاسي، **المصدر السابق** ، ص34.

انتشر السحرة والعرافين وهم على أنواع: السحرة الذين يعتبرون أنفسهم قادرين على إنقاذ من اعتراهم مس من الشيطان، العرافين الذين يضربون الرمل ويرسمون عليه أشكالا وهناك صنف من النساء يوهمن العامة أنهن يرتبطن بصداقة مع الشياطين[1].

ولقد كان الزواج قبل كل شيء أمرا خاصا بالأسرة: لم يكن المقصود بالزواج ارتباط رجل وامرأة، بل كان ارتباط أسرتين معا، وكان الشاب يستشار والفتاة تخبر وكانت الخطبة تتم بعد اختيار الأم خطيبة ابنها وقد تكون لاحظتها أثناء احتفالات وقد استدعيت إليها ويندر أن يكون هناك من يخالف إرادة الآباء، بعد الموافقة يتم حضور أصحابهم إلى المسجد مع وجود شاهدي عدل يكتبان العقد ويحرران الصداق وقراءة سورة الفاتحة، وبعد إتمام العقد ورضى الطرفين يستدعي الخاطب جميع أصحابه لتناول طعام الغداء معه كذلك يفعل أبو المخطوبة مع أصحابه ثم يتم تجهيز الطرفين وإعدادها للزواج، ثم تزف العروس إلى منزل زوجها فتقام لها مأدبة فاخرة وتقام لها الحفلات.

وكانت ولادة طفل تعتبر حدثا سعيدا بالنسبة للأسرة ويزيد السرور إذا كان المولود ذكرا وباكورة الزواج ويعم الفرح الأسرة ويسمى الولد ويختن عند بلوغه أسبوعا[2].

كان أهل فاس يتسلون بالآلات الموسيقية مثل الطبول والدفوف وكانوا يعزفون بالمزامير والعيدان والقيثارات، وكذلك يلعبون الشطرنج، أما العزاب يستمتعون بتدخين الحشيش ويشربون الخمر، لم يكن للنساء دور في البلاط فهناك قاعدة الفصل بين الجنسين حرمنهن من الظهور أمام الجمهور لكن كن ذا نفوذ ولهن دور سري مثل أم السلطان، جدته، زوجاته، وسراياه، وكان السلطان يظهر أحيانا أمام الجمهور، إما في المناسبات أو حادث خطير [3].

المرأة:

بلغت المرأة الفاسية حظوة كبيرة من الاحترام والتقدير حيث أنه بني لها سقاية بيت لصلاة النساء، بالإضافة إلى أن فاطمة بنت محمد الفهري و أختها مريم بنت محمد الفهري صاحبتي إنشاء مسجد القرويين والأندلس هما نموذجان مشرفان للمرأة الفاسية، ويذكر ابن أبي زرع الفاسي أن لجامع

[1]- الحسن الوزان، **المصدر السابق**، ص264.

[2]- الفاسي، **المصدر السابق**، ص58.

[3] -روجي لوطورنو، **المرجع السابق**، ص ص 108 -118.

القرويين بابين صغيرين للنساء، وهناك قاعدة متبعة في الزواج أي التزوج بامرأة واحدة وللمرأة الحق في اختيار شريكها [1].

وكانت النساء الفاسيات يرتدين الثياب الجميلة، لكنهن يكتفين في الحر بالثوب فقط، ويشددنه بزنار، وفي الشتاء يلبسن الأردية الواسعة الأردان والمخيطة من الأمام على نحو ما يصنع الرجال، فإن خرجن لبسن السراويل الطويلة التي تغطي الرجل كلها [2]، وأسدلن على الرأس والجسم ملاءة تغطيهما ويغطين وجوههن بنقاب، ويتركن فتحة العين، وكن يتحلين بالأقراط الذهبية والأساور والخلاخيل [3].

كانت المرأة الفاسية ذات فضل كبير في تثقيف السيدات حيث نذكر تأسيس جامع القرويين من طرف فضليات فاس فاطمة الفهرية، فقد ظلت بيوت العلماء والفقهاء بمن فيها من بنات وأمهات مراكز العلم يتلقين فيها ما ينفعهن في دينهن ودنياهن، علاوة على ذلك دور الخلفاء والملوك الذين كانوا يعتنون بتثقيف المرأة إعداد لها لمشورة الرجل في أوقاته الصعبة، وفي فاس الكثير من مدارس البنات التي كانت تعرف باسم الفقيه تديرها عادة سيدات لهن دور وصلة وثيقة بمجالس العلم [4].

كان في القرويين نساء أو فتيات متعلمات وكانت لهن أماكن تساعدهن من الاستماع إلى كبار المشايخ، وهناك دار المعلمة التي تعلم الفتيات الأشغال اليدوية بكل ما تختصه، ولقد عرف التاريخ المغربي أسماء كثيرات من النساء مثل أم هاني العبدوسية، أم البنين، وهناك شيخات صوفيات يقمن على زاويتهن بمفردهن ويعطين الورد للرجال والنساء مثل الزهرة بكوش[5].

---

[1]- الحسن الوزان، **المصدر السابق** ، ص254.

[2]- بوزياني الدراجي، **ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية** ، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 1230هـ/2013م، ص188.

[3]- روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص99.أنظر أيضا مارمول ، إفريقيا ، ص176.

[4]- أمحمد بوذيبة، **المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب** "تلمسان وفاس نموذجا " في القرن 10هـ /16م رسالة ماجستير، جامعة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 الجزائر ، 2011/2010م ، ص126.

[5]– نفسه، ص127.

المبحث الثالث : المراكز الثقافية والدينية في مدينة فاس

المساجد والزوايا والأوقاف:

أ/ المساجد :

يشكل المسجد الجامع عنصر أساسي من عناصر تصميم المدينة الإسلامية لما له من الأهمية دينية وسياسية في حياة المجتمع، كما ساهم في التعليم إضافة إلى وظائف أخرى، حيث اشتهر من مساجد الإسلام الكثير والحديث في هذا الميدان عن مسجدين جامعين هما جامع القروين والأندلس، وأما المساجد الصغيرة فهي لم تكن تحت إشراف الدولة مباشرة من حيث استخدامها كمراكز للتعليم، إلا أن هذا لا يعني عدم رعايتها أو تخصيص الأحباس من قبل الدولة أو الأغنياء من أهالي المدينة [1].

يعد المسجد مركز ديني واجتماعي للمجتمع الإسلامي ومن أهم المساجد التي بنيت بفاس نجد جامع القرويين والذي اشتهر كجامع وجامعة في فاس[2].

اشتهرت فاس بعدة مساجد جامعة نذكر منها ما يلي:

1/ جامع القروين :

يقول ابن زرع :"كان موضع مسجد القرويين أرضا بيضاء لرجل من هوارة كان والده قد حازها أيام بناء فاس، ولما قدم وفد القيروان على إدريس كان في هذا الوفد إمرأة اسمها فاطمة بنت محمد الفهري وتكنى بأم البنين فنزلت في أهل بيتها بالقرب من موضع المسجد، ثم مات زوجها وإخوتها فورثت منهم مالا كثيرا فأرادت أن تنفقه في وجه الخير، وكانت لها نية صالحة فعزمت على بناء مسجد فاشترت البقعة من صاحبها وشرعت في حفر أساس المسجد وبناء جدرانه [3].

ولقد كانت الطريقة التي سلكتها في بنائه أنها التزمت أن تأخذ التراب من مادة البناء من نفس البقعة دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها، فحفرت في أعماقها كهوفا وجعلت تستخرج منها الماء للبناء والشرب، ولقد كانت فاطمة صائمة منذ يوم شرع في بنائه إلى تم وصلت فيه شكرا لله تعالى وكانت مساحة المسجد يوم بني أربع بلاطات وصحنا صغيرا، وجعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى

---

[1] - مزاحم علاوي الشاهري، **الحضارة الإسلامية في المغرب (العصر المريني)** ، د.د.ن ، د.ب.ن ، د.س.ن، ص176.

[2]-كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي** من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي، مركز الاسكندرية ، مصر، 1996م، ص109.

[3] - الناصري، ج1، **المصدر السابق** ، ص 232.

وجعلت طوله من الغرب إلى الشرق مائة وخمسين شبرا، وبنت به صومعة غير مرتفعة بموضع القبة التي على رأس العنزة اليوم، واستمر الحال على ذلك إلى أن انقرضت دولة الأدارسة، وجاءت دولة زناتة من بعدها وأداروا السور على العدوتين معا : القرويين والأندلسيين وزادوا في مسجديهما زيادة كثيرة فنقلوا الخطبة من مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين، ومن مسجد الأشياخ إلى مسجد الأندلس [1].

لكن مع مجيء عبد الرحمن الناصر واستيلائه على فاس وبلاد العدوة استعمل على فاس عاملا له اسمه أحمد بن أبي بكر الزناتي ثم اليفراني فاستأذن الناصر في إصلاح مسجد القرويين فأزال الصومعة القديمة وبنى صومعة جديدة كتب على بابها في مربعة بالجص واللازورد :(هذا ما أمر به أبي بكر الزناتي هداه الله ووفقه، ابتغاء ثواب الله وجزيل إحسانه) وابتدأ العمل في الصومعة وأتم بنائه وركب في أعلى المنارة سيف إدريس بن إدريس تبركا به، وذلك أن بعض حفدة إدريس تنازعوا على

السيف، وأراد كل منهم أن يحوزه لنفسه فقال لهم الأمير أحمد بن أبي بكر : " هل لكم في أن تبيعوني هذا السيف ؟" .قالوا : " وما تصنع به ؟ ". قال:"أجعله في أعلى المنارة ". فقالوا:"أما إذا أردت هذا فنحن نهبه لك مجانا فوهبوه له فركبه في أعلى المنارة "[2].أنظر الملحق ر(05)ص112.

وقد تم تلبيس المنارة وتبييضها، ثم أعد السقاية له، واستمرت العمارة وكان أول خطيب خطب به هو الشيخ الفقيه الصالح عبد الله بن علي الفارس، وقد نظمت أشعار كثيرة حول السيف الذي وضع في أعلى المنارة، نذكر الشاعر أحمد بن عبد المنان الذي قال :

أنكر السيف بالمنار بفاس قائل إن ذاك داعي اغتمام

لا يرعك الحسام سل عليها جنة الخلد تحت ظل الحسام

وقال الفقيه العدل عبد الرحمن المليلي :

ألم بفاس ولا تسمع لقائلهم سيف المنار كساها ثوب مكتئب

أما ترى الشمس رانت تحت كاتبها والسيف أصدق أنباء من الكتب

وقد جعل تحت القبة قبة أكبر منها لجلوس المؤذنين ومبيت المراعي منهم لأوقات الليل وانصداع الفجر لإقامة الآذان، وبندائه يقتدي سائر المؤذنين بصوامع المدينة يقلدونه ولهم بمواضع منها بلاطات رخام موضوعة بحكمة وفي كل بلاطة قائم يستدل بامتداد ظله على خطوط في البلاطة بطول أزمان

[1]- الناصري، ج1، **المصدر السابق** ، ص232.

[2]– نفسه، ص 233.

النهار ومرور الساعات، وقد نصبوها لمعرفة الأوقات وهي لهم من أهم الهدايات، أما منبر الجامع فلقد كان من عود الأبنوس والعناب صنعه المظفر بن المنصور وكتبت عليه البسملة والصلاة على الرسول صلى الل عليه وسلم[1].

كان للجامع محراب وميضأة وسقاية، وتم فرش بيوت دار الوضوء بالرخام، وهي خمسة عشر بيتا، يدخل الماء كل بيت منها على حدة، وفي وسط الميضأة بيلة متسعة تشبه الصهريج، وفي وسط البيلة جعبة من نحاس مموه بالذهب فيها أنابيب ينصب منها الماء إلى الصهريج، وكان في الميضأة قبة عظيمة، ويقابل الميضأة باب الحفاء من الجامع الكبير المكرم، وهو باب كبير يدخل منه إلى الصحن وسائر الباب مفروش بالرخام حتى إلى الصحن [2].

وقد أصبح جامع القرويين [3]بغض النظر عن دوره الديني جامعا و جامعة وله دور تعليمي كبير، حيث يعتبر ليس مسجد لأداء الصلوات فقط و لكن جامعة علمية كذلك، ولم يبق على نفس المساحة والحالة التعليمية التي كان عليها عند التأسيس، وإنما تطور وتوسع من حيث الشكل، يقول الوزان في كتابه وصف افريقيا:" وفي المدينة جامع عظيم يدعى جامع القرويين و هو غاية الكبر، يبلغ محيط دائرته نحو ميل ونصف الميل، وله واحد وثلاثون بابا، كلها كبيرة عالية، تبلغ المساحة المغطاة نحو مائة وخمسين ذراعا والصومعة التي يؤذن عليها عالية جدا، كذلك يحمل السقف ثمانية وثلاثون قوسا طويلا وعشرون عرضا وفي داخل الجامع على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء والأساتذة، حيث يلقون على الشعب دروس تتعلق بأمور دينية وشريعة [4].

يعد المسجد النواة الأولى للتعليم فقد كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وعلوم الشريعة واللغة، وفروع العلم المختلفة، وكان التعليم فيه يقتصر على تعليم القرآن وتفسير العقائد ومع الزمن تطور وأصبح يشمل موضوعات في تفسير القرآن الكريم، وشرح الحديث

---

[1]- الجزنائي، **المصدر السابق** ، ص 50

[2]- نفسه، ص 56.

[3]- **جامع القرويين** : يقع بمدينة جامع القرويين بمدينة فاس ويدعى الجامع الأعظم وهو في غاية الكبر ، شهد الجامع حلقات متسلسلة ضمت مشاهير رجال الفكر في ندواتها العلمية والأدبية كما أنه يعتبر جامعة خصوصا وأنه ملحق بعدة مدارس تقام فيها بعض المدارس الأخرى . أنظر حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج1، ص 224.

[4]- نفسه، ص224.

وجامع القرويين أقدم كلية في العالم، وأول مدرسة في التاريخ، جمع بين الأصالة والتجديد كان يدرس فيها ابن خلدون وابن رشد وغيرهما وكان فيه كراسي لتعليم العلوم المختلفة، ولفظ الكراسي هو الاصطلاح الذي مازال مستعملا حتى الآن في مختلف جامعات العالم[1] .

ولقد كانت العلوم التي تدرس فيها الحديث، أصول الفقه، النحو، البيان، التوحيد، القضاء و الأحكام، ولقد تميزت جامعة القرويين بشروط للالتحاق بها، فكان على الطالب أن ينهي دراسته بأحد الكتاتيب حتى يتعلم مبادئ الدين و قواعد اللغة العربية وأن يكون حافظا للقرآن ومجودا له وحافظا للمتون ولم تكن جامعة القرويين تفصل بين المعارف والفنون أو تقسيم ما هو ديني و ما هو دنيوي، بل كانت جامعة بين علوم الدنيا والدين، ولقد تخرج من جامع القرويين عدد من موظفي المخزن، كتابا وقضاة وغيرهم، وكانت فاس تتوفر على عدد من الطلبة المتخرجين الذين يكلفهم المخزن بمهام التدريس والقضاء وغيرهما من الخطط في الحواضر الأخرى[2].

وكان التعليم بالجامعة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الابتدائي، القسم الثانوي، القسم النهائي

فالقسم الابتدائي يحتوي على الفنون الآتية: الصرف والنحو، والتوحيد والفقه، وآخر العبادات، الأدب، الحساب.

والقسم الثانوي يشمل الفنون الآتية: الفقه وأصوله، الصرف والنحو، البلاغة، الأدب، الحساب والهندسة والتوقيت، المنطق، التوحيد، مبادئ الحديث.

أما القسم النهائي فله قسمان يشتمل القسم على العلوم الآتية: الفقه، أصول الفقه، الحديث و التفسير، ويشتمل القسم الثاني على العلوم الآتية: الأدب وتاريخ أدب اللغة العربية، والتاريخ والجغرافيا.

وكان هناك اثنين وثلاثين مدرسا من علماء القرويين للقيام بالدروس وترتيبهم كالآتي: 12/ مدرسا للتعليم الابتدائي. 12/ مدرسا للتعليم الثانوي. 8/ مدرسين للتعليم النهائي. أما مرتباتهم كانت أيضا منظمة و مرتبة[3].

---

[1]- امحمد بوذية، **المرجع السابق** ، ص86 .

[2]- مصطفى الشابي، **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، 1995م، ص98.

[3]- روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص 661.

أنشأ وظيف متفقد بالقرويين يلقب بمراقب الدروس وله مرتب قدره عشرون ألف فرنك سنوية، ويعمل على المواظبة بالنسبة للمدرسين و الطلبة، كانت الدروس تلقى في كامل أيام الأسبوع ماعدا الخميس و الجمعة وذلك مدة ثلاث ساعات لكل مدرس، وتعطى استراحة أسبوع بمناسبة الأعياد الإسلامية الثلاثة وهي عيد النحر وعيد الفطر و المولد النبوي، وتعطى استراحة خمسة عشر يوما حين تقام نزهة سلطان الطلبة، وفي آخر كل سنة دراسية كان يقع امتحان لطلبة القرويين يرتقي الناجحون فيه إلى طبقات أعلى من التي كانوا فيها أما تفاصيل الامتحانات فتضبط بقرار من الوزير الأعظم في آخر السنة [1].

أما العقوبات التي تفرض على طلبة القرويين كالآتي: 1/ الإنذار. 2/ منعه من الدخول في أي امتحان من الامتحانات عاما كاملا.3/ إخراجه من القرويين أو غيره من المعاهد العلمية المغربية لمدة لا تتجاوز سنتين. 4/ إسقاطه إسقاطا نهائيا من زمام الطلبة، وكان هناك قاضي الذي يمنح الكراسي العلمية بعد الرجوع إلى السلطان و يراقب ناظر الأوقاف ويصادق على الميزانية، ويرجع إليه الأمر في الإصلاحات التي تدخل على مباني المساجد وتسمية الأئمة والخطباء والمدرسين ورجال الحسبة ، ويلي هذه الوظيفة، وظيفة القيم وهي تقابل وظيفة رئيس القسم الأول فكان هناك قيم على كتب الفتوى، وقيم على كتب التفسير، وكانت مدة الدراسة بين خمسة عشر عاما، وقد نعمت جامعة القرويين بأوفر حظ من الأوقاف المختلفة، وفي الأغلب كانت معظم الأحباس في فاس مخصصة لها[2] .

لم يكن الأساتذة تابعين للمخزن إلا من أجل تعيينهم وترقيتهم، على أن يبرهنوا في مقابل ذلك عن ولائهم له، وكانت فاس تقدر علمائها فلا ترى فيهم شيوخا يستلزم سنهم الاحترام، ومثقفين ينشرون سمعتها في أقطار المغرب والعالم الإسلامي، وكانت تعتبرهم مرشدين روحيين، وكان الطلبة منقسمين إلى صنفين متميزين بوضوح : الفاسيون والغرباء عن فاس، كان الفاسيون ينهون دراستهم الابتدائية بالمدينة ويتابعون عيشهم في أسرتهم، وكانوا في الغالب شبانا ينتمون إلى بيئة مشبعة بالتقاليد الفكرية، ويحضرون دروس الجامعة، كما كان يوجد بعض أبناء الصناع و أصحاب الدكاكين أو خدام المخزن [3] .

[1]- عبد الرحمن بن زيدان، **المصدر السابق** ، ص156.

[2]- احمد بوذيبة، **المرجع السابق** ، ص90.

[3]-روجي لوطورنو، **المرجع السابق** ، ص665.

وكانت الامتحانات تجري أمام لجنة متركبة من العلماء المبينين فيما يلي:

- رئيس المجلس التحسيني أو نائبه
- أعضاء المجلس التحسيني
- مراقب الدروس
- واحد العلماء من المجلس الأعلى بالأعتاب الشريفة و خمسة علماء من القسم النهائي

وكان كل مدرس أو موظف لا يلتزم بوظيفته أو بوظيفته أو يمس المسجد بمقالات أو خطب أو أوراق ومنشورات تهيج أفكار الطلبة يعرض على مجلس تأديبي يمكنه أن يصدر عليه إحدى العقوبات الآتية : 1/ الإنذار 2/ تثقيف مرتبه لمدة لا تتجاوز نصف شهر 3/ تثقيفه عن وظيفته مع إسقاط مرتبه لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر 4/ تنقيص مرتبه 5/ إسقاطه من مرتبه إلى أسفل منها 6/ عزله [1].

2/ جامع الأندلسيين:

بني جامع الأندلسيين سنة خمس وأربعين ومئتين على يد مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري، واشترت أرضه وأنفقت كل المال الموروث من أبيها وسمي بذلك لأن الإمام إدريس بن إدريس لما وفد عليه وفد من أهل جزيرة الأندلس أنزلهم بالعدوة الشرقية من فاس، فسميت بذلك عدوة الأندلسيين، وقد أعانهم على بنائه جملة من الأندلسيين الساكنين وقد كان فيه ست بلاطات وله صحن صغير فسيح به أصول الجوز وغيره من الأشجار و ساقية غزيرة تعرف بساقية مصمودة، وكان له صومعة، ونقلت الخطبة من جامع الأشياخ على يد الأمير حامد بن أحمد الهمداني، وكان أول خطيب خطب به الفقيه الصالح علي بن محمود الصدفي، وبني فيه باب كبير جوفي به مدرج وسعته عشرون شبرا، وارتفاعه سبعة وعشرون شبرا وأدراجه أربع عشرة درجة [2] .أنظر الملحق ر(06)ص113.

لجامع الأندلس منارة كمنارة القرويين، ويقصده الناس للتبرك به والزيارة، وفيه رخامة لمعرفة ظل الزوال، وله عدة أبواب أشهرها وأفخمها في ناحية الغروب ولعله من بناء حفيل عليه رونق السلطنة وأبهة الملك، وفي صدر المسجد خزانة لوضع الكتب عن يسار المحراب، وبه سبع بلاطات من الصحن

[1]– عبد الرحمن بن زيدان، **المصدر السابق** ، ص159.

[2]– الجزنائي، **المصدر السابق** ، ص 92.

إلى المحراب، وبإزائه مدرسة خفيلة وهي الآن على طرف الاضمحلال والفناء، وبقربه ميضأة فيها ماء كثير، ومسجد الأندلس هو أكبر مسجد بعد القرويين[1].

كان بأعلى الباب قبتين: إحداها من جبص مقربسة من داخله، والثانية من خشب الأرز من خارجه، وفيه سقاية ومدخل لبيت الصلاة للنساء، ودار وضوء وبيلة وخصة بجوفي صحنه، وعدد بلاطاته من الشرق إلى الغرب خمسة عشر بلاطا ومن القبلة إلى الجوف ثلاثة عشر بلاطا، وعدد سواريه مئة سارية وأربع ثلاثون سارية، بالإضافة إلى صومعته، وفي أعلاها قبة لجلوس المؤذنين، وينشر علم أبيض في أوقات صلاة النهار، وله تسعة أبواب، وكان جملة من العلماء يدرسون العلم في مواضع من هذا الجامع وكانوا أهل شورى منهم مجود للقرآن، ومدرس لما شاء من فنون العلم في مجالس العلم، وصلحاء يلتزمون العبادة بعد تحصيل العلم ويقصدونهم الناس للفتاوى والعلم والأدب والتماس الدعاء [2].

3/ **مسجد الرصيف:** بني على هيئة جامع ابن يوسف بمراكش في الشكل والصومعة غير أنه أصغر منه، وبناه أمير المؤمنين المولى سليمان، فيه ماء كثير، وفيه ميضأة واسعة الفناء .

4/ مسجد باب الجيسة: مسجد واسع، وهو أصغر من مسجد الرصيف وجدده السلطان المولى عبد العزيز أيام الوزير السيد أحمد بن موسى، به صحن واسع كانت به صلاة الجمعة فيه تتأخر إلى قرب العصر، وأما مساجد الخطبة بفاس سبعة عشر، وهي مسجد المولى إدريس والقرويين والأندلس، مدرسة الوادي، الرصيف، باب الجيسة، والمدرسة البوعنانية، وجامع الشرابلين، مسجد سيدي أحمد الشاوي، والزاوية الناصرية، مسجد الديوان، مسجد المنية، مسجد قصبة النوار، مسجد أبي الجلود، وجامع الحمراء والجامع الكبير[3].

5/ **الجامع الكبير:** في هذا المسجد بيت للصلاة ويشمل سبع بلاطات أوسطها وهو بلاط المحراب أكثر سعة، وله سبعة أساكيب يتميز من بينها أسكوب القبلة بسعته وعقوده الموازية لحائط المحراب حيث تستند إليها عقود البلاطات التي تتجه عمودية نحو جدار القبلة، ويكاد اتساع الصحن

---

[1]– الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين الخزرجي المكناسي ثم المراكشي، **التنبيه المعرب كما عليه الآن حال المغرب** (السفر الأول) تق : محمد المنوني، دار المعرفة، ط1، المغرب، 1994/1415م ، ص128 .

[2]- المكناسي ثم المراكشي، **المصدر السابق** ، ص 128.

[3]-نفسه، ص 129.

عن العمق وتحيط به ثلاث مجنبات من الشمال والشرق والغرب، وقد وضعت قبة عند بداية بلاط المحراب من جهة القبلة وأخرى عند نهايته من جهة الصحن وهما قبتان ذات عقود متداخلة متقاطعة [1].

6/ **جامع الحمراء:** تم تأسيسه بعد الجامع الكبير، ويقع هذا المسجد بجانب المحجة الكبرى لفاس الجديد، ويحتوي على بيت للصلاة ويشتمل هذا الأخير على بلاط محوري فسيح وبلاطين آخرين شرقا وغربا مع امتداد البلاط الأخير في كل من الجانبين ليسير بطول الصحن إلى واجهة المسجد الشمالية، أما الأسكوب التابع للمحراب فسيح و واسع عن بقية الأساكيب تتوسطه قبة خشبية أمام المحراب تقطع عقوده الموازية للقبلة امتداد عقود البلاطات التي تتجه عمودية نحو القبلة وتكون التغطية في أسكوب القبلة شرقا وغربا من قبة المحراب بواسطة أسقف خشبية، ويحيط بالعقد الأساسي لفتحة المحراب عقد آخر، وتفصل بين العقدين مزخرفة بالتناوب بزخارف هندسية و زهرية أما الصحن فيتميز بتخطيط مستطيل، وتنفتح أبواب المسجد على الواجهتين الشرقية والغربية، أما صومعته فتقع في الزاوية الشمالية الغربية للتخطيط[2] .

7/ **مسجد الزهر:** يرجع تأسيسه إلى عهد السلطان أبي عنان وهو جامع الحجر قديما و يقع في الطرف الجنوبي الشرقي لفاس الجديد وهو صغير المساحة، لكنه يعتبر من أجمل المنشآت الفاسية، نقشت زينته الفنية وزخارفه الهندسية من الحجر مدخله الرئيسي يقع بالواجهة الشمالية على محور الصحن والمحراب وعقده ومنكسر يحيط به عقدان من نفس النوع، وفيها زخارف كتابية فوق الأرضية، وقد توج المدخل بظلة أو سقيفة، أما التخطيط العام للمسجد فإنه يكاد يكون مربع الشكل، ومنذ البداية يتصل المدخل الرئيس بصحن مربع المساحة، وفي بيت الصلاة أسكوبين عقودهما متوازية للقبلة وثلاث بلاطات، وفتحة المحراب تتكون من عقد متجاوز منكسر، وله صومعة في الجدار الشمالي الشرقي في مقابل أسكوب المحراب [3].

8/ **مسجد الغربية:** يذكر أنه تأسس في عهد السلطان المريني أبي سعيد الثاني، وكان يسمى مسجد السوق الكبير.

9/ **جامع العباسيين:** يذكر أنه أسس قبل المسجد السابق (الغربية) .

---

[1]-عبد الباسط المستعين، **المرجع السابق** ، ص 23.

[2]-نفسه، ص24.

[3]- روجي لوطورنو ، **المرجع السابق** ، ص 99.

ولقد تميزت المساجد بفاس بالتواضع من حيث الحجم و طول الصوامع وضخامتها، وتميزت بروعة الزخارف والفنون والنقوش الكتابية أو التصويرية على الجبس في المحراب أو الصحن أو الأعمدة أو نوعية الثريات المعلقة [1].

ب/ الزوايا :

زاوية الحزابين: وتقع قرب جامع القرويين، الذي أحدثها هو عبد الله محمد الشريف الحسني، وكان يقرأ بها ختمة كل شهر على عادة المحراب وسورة الكهف في كل يوم جمعة بعد صلاة العصر، وعددا من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أثر القراءة كل يوم وعددا آخر بين العشائين في ليلة الاثنين والجمعة [2].

زاوية القراء: أمر بها المولى المستعين تقع قبلة جامع القرويين، جعل بقبليها وبجوفيها من صناعة الخرط والتزيين بالأصبغة ما يبتهج به المار والسالك و رتب فيها قراء يقرأون القرآن، ويختمونه في كل سبعة أيام بطول الأزمان، وأجرى لهم جراية في كل شهر ينتفعون بها، ويرتبون لذلك بسببها، وتتم عملها في أواخر شهر رمضان، ويجعل له أجر على ذلك في ميزانه ويضاعف ب الحسنات في ديوانه[3].

زاوية الشرادي: الشراردة أصلهم من عرب معقل الصحراء، قيل أن السيد محمد لما قدم من الحج لما اجتاز بمدينة فاس فاجتمع عليه ناس منها وتتلمذوا له وبنوا له زاوية بدرب من عدوة الأندلس، وأثني عليه وعلى أبيه ، ثم جاء المهدي بن محمد فسلك أيضا طريق أبيه، ونشأ في دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله تعالى، واتخذ شيئا من كتب العلم وتظاهر بالعلم والمعرفة [4]

الزاوية المتوكلية : بنى هذه الزاوية السلطان أبو عنان والتي تكونت من غرف ثلاث إحداهما للإمام و الأخرى للمؤذن والثالثة للناظر في الأوقات، ويتصل بها داران الأولى للفقراء والغرباء والثانية للطبخ، كما اشتملت على صومعة وصهريج، ومسجد يقابلها، لقد اشتهرت الزوايا بدار الضيوف، ولكن ركن من أركان هذه الزاوية باب يشرع إلى دار بديعة البناء متناسبة الأجزاء، إلا الباب الذي بالجوف الموالي إلى جهة الغرب فإنه يشرع إلى دار وضوء أطردت فيها مياه، والديار الثلاث المذكورة

[1]- عبد الباسط المستعين، **المرجع السابق**، ص24

[2]- المكناسي، **المصدر السابق**، ص75.

[3]- الجزنائي، **المصدر السابق**، ص76

[4]- الناصري، ج3، **المصدر السابق**، ص160.

إحداها معينة للإمام هنالك، والأخرى للمؤذن الذي يسلك في إقامته شعائر الدين والثالثة للناظر في الأوقاف والأحباس المتصرف في إعداد الطعام وترتيب الناس ولها دار معدة لنزول الواردين [1] .

الزاوية الدلائية :

يعود تأسيس الزاوية الدلائية إلى الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري في عام 974 هـ /1566م أسسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بأمر من شيخه أبي عمر القسطلي، وتفرعت عن هذه الزاوية إلى العديد من الزوايا التي أنشاها حفيد الشيخ أبي بكر السلطان محمد الحاج بن محمد الدلائي 1048هـ/1638م معروفة باسم الزاوية الدلائية البكرية وزاويتين اثنين احدهما عاصمة الإمارة الدلائية والأخرى قرية فيها قبور الدلائيين لنستطيع تحديد موقع الزاوية بسبب تخريبها وانطماس معالمهما فأشار إليها بعض مؤرخي تقع على ثلاث مراحل من فاس وهسكورة وتادلة وبعض المؤرخين الأوروبين من ناحية ام الربيع قريبا من تادلا ومؤرخ مغربي يعرف سكان ناحية خنيفرة الزاوية القديمة باسم " أيت يدلا " أي أهل الدلاء [2]

وقد تحدث بعض شيوخ زاوية ايت اسحاق أنه شاهد الفرنسيين يقومون بهدم الأسوار القديمة فهي عبارة عن مركز ديني وكان يلقي دروس عظيمة كان يبكي خلالها حتى تبتل لحيته البيضاء فسار أتباعه على نهج والدهم الوعظ والإرشاد وقد بلغت الزاوية الدلائية في عهدهم نشأوا بعيدا في الشهرة والمجد لم تبلغه زاوية من قبل أومن بعد.

الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية: ولد أبو بكر بن محمد معروف بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المجاطي بتادلة 943هـ /1537م حيث قام أبو بكر ببناء العديد من الدور والدكاكين وحبس الربع على الطلبة والمساكين، وتعقد المجالس العلمية وقد بلغت شأن بعيد يقال أنها الثقافة اللغوية المتينة التي كانت موجودة في زاوية الدلاء حيث درس اليوسي التي أحيت الأدب في المغرب بعد دعم ساعد الدلائين على تحقيق هذه المآثر العلمية الكبرى ثروة طائلة ورثوها على أجدادهم من حقول شاسعة في سفوح الأطلس المتوسط والشرقية والغربية، وقطع هائلة من الماشية لكن انقلبت الأحوال على إثر وفاة المنصور، وقامت بين أبنائه وأنصارهم في الشمال والجنوب حرب

[1]– ابن الحاج النميري، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعدية إلى قسنطينة والزاب** ، محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، الرباط ، 1990م، ص206.

[2]– دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ، د.ب.ن، 2003م ، ص26.

الأهلية قضت على النشاط العلمي في الحواضر، وكان يقصدها العلماء والطلبة من كل جهة بلغت زاوية أوج عظمتها وآل أمرها إلى محمد الحاج الدلائي أواسط القرن 17م [1].

أشهر العلماء الذين قاموا بالتدريس في الزاوية :

1/ الحسن بن أحمد الدرعي 1006هـ/1598م ويقال له أيضا الدراوي العالم المشارك المحقق مؤلف شرح لامية الجراد السلوي في قواعد الحمل اشتهر بالانكباب على التدريس وبذل الجهود في إفادة الطلاب والحرص على نفعهم سواء في موطنه الأول بدرعة أو في فاس أو زاوية الدلاء وقد حط الحسن الدرعي رجاله في الدلاء في السنوات الأولى لتأسيس الزاوية ونال من حظوة أبي بكر الدلائي ورعايته بما يليق بمقامه العلمي وأقبل عليه الطلبة يأخذون عنه وفي مقدمتهم أبناء الشيخ أبي بكر درسوا عليه التوحيد والفقه والأصول والمنطق والبيان وارتحل الحسن الدرعي في أواخر أيامه إلى فاس حيث أدركته الوفاة [2].

إلى ظهور شخصية أحمد بن محمد الأبار المدعو حمدون 1071هـ/1660م وهو من أسرة أندلسية في حين اشتغل مدة طويلة بالتدريس والخطابة في جامع الأندلس بفاس قبل أن ينتقل إلى زاوية الدلاء ينكب فيها على تدريس مختصر خليل وألفية ابن مالك في حين أنجبت الزاوية الدلائية عدد من العلماء ومن أشهرهم الحسن بن مسعود اليوسي، ولقد ارتبط اسمه باسمها وظن البعض أنه من أبنائها وقد تتلمذ على يد اليوسي الكثير من العلماء الدلائين كمحمد المرابط ومحمد بن عبد الرحمان وأبي عمرو ابن محمد[3]، ولقد دخل اليوسي إلى زاوية الدلاء حوالي 1060هـ-1650م وهو مازال شابا طالبا للعلم فانقطع عن لهو الشباب وكفوه ومكث فيها نحو عشرين سنة طالب ثم أستاذا وفقيها، ولم يغادرها إلا بعد أن أزعجه السلطان الرشيد عنها تخريبها، وقد تحولت هذه الزاوية إلى قوة سياسية نافست السعديين كان لهذه الحركة شأن ونفوذ عظيمان استمدتها من الرفض البربري [4].

وتركزت الحركة بالأطلس الأوسط انطلقت الحركة على يدي ثالث شيوخها سيدي محمد بن سيدي محمد بن أبي بكر واتخذت طابع التمرد البربري مع إلحاق هزائم كبرى بالجيش السعدي من أهمها هزيمة معركة "بوعقبة "فطرح الزعيم الدلائي نفسه سلطانا بديلا عن السلطان السعدي، وتحولت

---

[1]- محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ، منشورات دار المغرب ، د .ب.ن ، د.س. ن، ج2 ، ص499.

[2]- محمد حجي، **الزاوية الدلائية و دورها الديني والعلمي والسياسي** ، ط2 ، د.د.ن ، د.ب.ن ، 1409هـ/1988م ، ص.30

[3] -محمد الزمزمي، **الزاوية ومافيها من البدع والأعمال المنكرة** ، د.د.ن ، د. ب. ن ، د. س. ن، ص 16.

[4]- محمد حجي، **المرجع السابق** ، ص 252 .

الحركة إلى سلطة قائمة خاصة بعد سيطرتها على مدن الشمال وبعد مقتل أمراء السعديين أبي العباس سنة 1652م، ولقد اصطدمت تطلعات الأشراف إلى سلطة المغرب بالحركة الدلائية المتماسكة حول زاويتها والمتعطشة للسلطة السياسية من الطبيعي أن يطمح الشيخ الدلائي إلى عرش المغرب، أما في العهد العلوي فاتجهت الزاوية نحو الجنوب لمقابلة منازعه وخصمه العلوي سيدي محمد بن الشريف الذي أعاد الاعتبار لمفهوم الشريف وهب بحركته من درعة وتفلالت بالجنوب الشرقي لغزو السلطة وأعادتها إلى الأشراف من جديد تمكن سيدي محمد الحاج الدلائي من إلحاق الهزيمة بجيوش الشريف العلوي في واقعة سنة 1646م إلا أنه أبقى على التوازن بين الطرفين فحددت مناطق لكن ذلك التوازن لم يكن إلا مؤقتا وسرعان متجاوزته الأحداث حيث هيأت مدينة فاس الاستقبال الشريف العلوي ومبايعته في 1649م[1].

والتخلص من نفوذ الدلائي البربري وبعد انتصار العلويين في دار الرمكة 1650م، لم يعد للحركة الدلائية قوتها وتوالت عليها الهزائم وتراجع نفوذها وتقلصت رقعتها، ولم تحل سنة 1677م، حتى تمكن العلويين من القضاء نهائيا على طموحاتها السياسية، وإرجاعها إلى حيز الزاوية، فدخلت بذلك بلاد المغرب الأقصى تجربتها الشريفة الثانية، وكان لها دور في نشر الطريقة الشاذلية المتصلة بالإمام أبي القاسم الجنيد إيواء الفقراء، وأبناء السبيل وإطعامهم وكان لها الفضل في تزويد العلماء والأدباء جامعة القرويين[2].

ج/ الأوقاف :

تعد الأوقاف أكبر دعامة لاستمرار التعليم، فلقد كانت أموال الأوقاف تصرف لإصلاح المساجد والزوايا والمدارس وتلبية حاجاتهم، وتصرف للطلبة لتوفير الإيواء لهم والمأكل وكذلك لرواتب الاساتذة والعلماء وما تحتاج إليه الخزانات من كتب ومؤلفات، وتوافرت أوقاف القرويين، ففاضت منها على سائر مساجد فاس وغيرها، وسرت أوقافها الزائدة حتى إلى المسجد الأقصى والحرمين الشريفين وشملت مشاريع الإحسان، فعندما ضاق الجامع بأهله اجتمع أهل المدينة لبيع أملاكهم لتوسيعه وهذا كان في أيام علي بن يوسف بن تاشفين [3].

---

[1]- محمد الأخضر، **المرجع السابق** ، ص 70.

[2]- نفسه، ص 70.

[3]– المكناسي، **المصدر السابق** ، ص 68.

حتى أن المحسنين في مراكش كانوا يقومون بتحبيس عدد من العقارات على مرافق القرويين بالرغم من بعدها، وقد قدر الوزان واردات الجامع يوميا بمئتي دكة ولاحظ أن كل مسجد من مساجد فاس لا أوقاف له خاصة به، يستفيد مباشرة من أوقاف القرويين باعتباره الجامع الأم، وهذا ما جعل الطلبة ينجحون ويواصلون دراساتهم وإبداعاتهم في الشريعة والطب والفقه والهندسة والأدب وغيرها[1].

ولقد شكل الوقف قاعدة للنهضة العلمية وأداة لانتشار العلم والمعرفة والاشعاع الثقافي، وقد اتفق العلماء على أن الوقف يعني الحبس والمنع عن الحركة، أي تأييد الوقف وصرفه بكيفية دائمة وفق شروط الواقف، ويقال وقفت الدابة إذا حبستها في مكانها، نرى المبادرة التي قامت بها فاطمة الفهرية بحبس أموالها وممتلكاتها لصالح جامع القرويين[2].

لقد كانت الجهات التي تساهم في الوقف والتي كان لها دور في تأسيس المدارس تتمثل في الأسرة الحاكمة وكذلك اهتمام المحسنين بالجانب المعرفي، فلقد أبدو رغبتهم في بناء المدارس والزوايا والربط، وكذلك مساعدة الطلبة، وتفيد الحوالات الوقفية أن السلطان أبو الحسن علي أوقف مدرسة المدينة البيضاء على تعليم القرآن الكريم وتدريس العلم وكذلك تأسيس المدرسة المصباحية من قبل أبو عنان فارس، وكذلك العائلات الفاسية التي ساهمت في إنشاء المدارس وهناك مدارس تحمل اسمها، وكانت توقف ممتلكاتها لاستغلا لمداخيلها كرواتب لشيوخ المدارس ومنح للطلبة وإصلاح المدارس ترد أسماء عائلة ابن الشراط وابن العطمير[3].

أسست مدرسة المدينة البيضاء و الصهريج والعطارين والمصباحية والمتوكلية البوعنانية على أموال الأوقاف المتمثلة في القطع الأرضية والممتلكات العقارية وبساتين وحوانيت ومرافق تجارية ودور وفنادق وحمامات وبيوت، حيث نقش على جدار من جدران قبة المدرسة المصباحية الخاصة بالدروس وكذلك وثيقة تثبت تحبيس المدينة المدينة البيضاء العبارة التالية:" حبسوا ذلك كله وخلدوه تحبيسا دائما وتخليدا مؤيدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها".

كان لكل مدرسة سجلات خاصة بتدوين المعلومات حول الموقوفات وهناك ناظر بالنيابة عن القاضي في الإشراف على موقوفات المدارس، ولقد كانت المنح الدراسية المصروفة للطلبة من مداخيل

[1] - الحسن الوزان، **المصدر السابق** ، ص 225.

[2] -إبراهيم القادري بوتشيش والسعيد المليح، **الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال القرن 8هـ/14م (أوقاف مدينة فاس نموذجا)** مجلة عصور الجديدة ع 11-12 ، د.د.ن ، د.ب.ن، ، 1435هـ/2014م ، ص 47.

[3]- نفسه، ص50.

وقف المدارس كانت تعلق أو تحذف نهائيا أثناء الاضطرابات السياسية أو في حالة التي يحرم فيها الطالب من الاستفادة من المنحة وعند فشله، وكان وقف الكتب على مكتبات المدارس وذلك بتأسيس خزانات للكتب لطلب العلم وقد احتوت هذه الخزانات العديد من الكتب ووقفت للاستفادة منها ووقفت لطلبة العلم[1].

المدارس والكتاتيب:

أ/ المدارس:

تميزت مدينة فاس بالعديد من منشآتها المعمارية، ومن أهم هذه المنشآت نذكر المدارس التي تعتبر من روائع الفن المعماري المغربي، حيث جمعت بين الفن المعماري والأندلسي، تعد المدرسة مؤسسة تعليمية لنشر علوم الدين وغيرها وكذا إيواء الطلبة والأساتذة ، ولقد شيد المرينيون مدارس كثيرة بفاس تتكون المدارس من صحن بيت الصلاة، حجرات للإيواء، بيت للوضوء، صومعة.

وللمدرسة أهداف تتمثل فيما يلي: نشر المذهب المالكي، التحكم في المنهج التعليمي، تشجيع الطلبة الغرباء على التعليم، دعم العلماء والطلبة، وقد أسست في فاس مدرسة الحلفاويين ومدرسة دار المخزن ومدرسة الصهريج ومدرسة السبعين ومدرسة الوادي والمدرسة البوعنانية والمصباحية والعطارين [2].

ثلاث من هذه المدارس تحيط بالقرويين مباشرة، هي مدرسة الحلفاويين والعطارين والمصباحية، والأربع الباقية وزعت على فروع القرويين، كانت كل مدرسة مزودة بقاعة أو قاعتين توجد بها خزانة تضم عشرات المخطوطات، وبكل مدرسة قيم أو مقدم يتعهد مع أعوانه شؤون المدرسة وتنظيفها وإنارتها وتوزيع المؤونة على الطلاب والسهر على مراقبتهم والمقدم يتبع إداريا لشيخ القرويين وغالبا ما يتم اختياره بتزكية الطلبة بعد أن يصادق عليها قاضي المدينة[3].

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، **المرجع السابق** ، ص65.

[2]- نعيمة الحضري، **المدارس المرينية بفاس** ، مجلة التاريخ العربي، ع380 ، المغرب، 2006م ، ص 375.

[3]- أحمد بوذيبة، **المرجع السابق** ، ص 93.

1/ مدرسة الحلفاويين: (اليعقوبية)

بناها أبو يوسف يعقوب، وتسمى حاليا مدرسة الصفارين تتوفر على خزانة كتب علمية مهمة، ومنذ تأسست المدرسة خصصت لها أوقاف كثيرة لسد حاجاتها ونفقة طلابها ومجالسها العلمية، وتعتبر النموذج الأول للمدارس المرينية بفاس وتمتاز بالبساطة في مكوناتها المعمارية [1].

2/ مدرسة العطارين:

سميت بالعطارين لأنها مقابلة لسوق العطارين وخصص لها فقهاء لتدريس العلم، حبس عليها عدة أملاك و تعد متحف رائع وسميت بأعجوبة فاس واختصت بمادتين أساسيتين الفقه والنحو، أما الفقه فيدرس صباحا والنحو يدرس بعد صلاة العصر، واشتهر من أساتذتها محمد بن محمد الفشتالي الذي درس المدونة فيها، وعنيت مدرسة العطارين بتدريس الرياضيات والفلك [2].

3/ المدرسة المصباحية:

سميت بالمصباحية لأن الأستاذ أبا الضياء مصباح بن عبد الله، كان أول من تصدى للتدريس فيها وتقع في شمال جامع القرويين ولقد استقبلت العديد من الأساتذة والطلبة الذين كانوا يأوون إليها، ويدرسون بها النحو والفقه، ولقد كانت هذه المدرسة كباقي المدارس تستفيد من الأحباس للإنفاق عليها [3].

4/ مدرسة الصهريج:

تقع هذه المدرسة قرب جامع الأندلس، بعدوة الأندلس وقد أنفق عليها أموال كثيرة، وكان القصد من بنائها البحث على تقوية المتتبعين للمذهب المالكي، وجلب عدد أكبر من الطلبة والأساتذة وقد درس القاضي إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي التازي، كتابي التهذيب والرسالة[4].

5/ مدرسة فاس الجديد (دار المخزن):

تقع قرب الجامع الكبير، تم بناء هذه المدرسة ومنذ تأسيسها رتب فيها السلطان الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء، لتدريس العلم، وأجرى لهم مرتبات ومؤونة في كل شهر، وكان من بين أساتذتها

---

[1]- الجزنائي، **المصدر السابق** ، ص 81.

[2]- مزاحم علاوي الشاهري، **المرجع السابق** ، ص 183.

[3]- الجزنائي، **المصدر السابق** ، ص 37 .

[4]- الحسن الوزان، **المصدر السابق** ، ص233.

المشهورين أحمد بن قاسم الجذامي الفاسي الشهير بالقباب، واشتهر بتدريسه التهذيب، وله شرح على قواعد عياض وبيوع ابن جماعة[1].

6/ المدرسة البوعنانية:

تعد أكبر وأشهر المنشآت التعليمية بفاس، وهي مدرسة تجمع بين وظيفة التدريس و وظيفة الجامع، وتحل موقع وسط بين فاس الجديد والمدينة، وتحيط معالم مدنية كقصبة بو الجلود، ودينية كجامع القرويين، قد قام بالتدريس عدد كبير من العلماء نذكر منهم: أحمد المقري التلمساني .أنظر الملحق ر(07) ص114.

7/ مدرسة السبعين:

أسسها الأمير أبو الحسن وسميت كذلك لأنها خاصة بالطلبة الذين يقرأون الروايات السبع .

8/ مدرسة الوادي:

عرفت مدرسة الوادي بأنها لا تسمح للطالب أن يداوم فيها ما لم يكن يحفظ صحيح مختصر الحاجبي، وعلى هذا الأساس فإن كرسيها كان مختصا بالفقه، ومن بين الذين درسوا فيها عبد الله الونغيلي الضرير وسميت كذلك لأن هناك واديا يشق صحنها[2].

9/ مدرسة الشراطين:

كان بها سكن لطلبة العلم وفيها طبقات بعضها فوق بعض، تشمل هذه الطبقات مائتي بيت واثنين وثلاثين وقبة للصلاة وقد نقش على خشبها (النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا الرشيد بن مولانا الشريف أيده الله بعزيز نصره أو أمره، وظفر جنوده و عسكره، ولهذه المدرسة بابان متقابلان أحدهما من الجهة الجنوبية والآخر من الشمالية ولكل زاوية من زوايا الثلاث دويرة وبالرابعة ميضأة [3].

ولقد كانت مواد الدراسة التي تدرس في هذه المدارس، علم الآداب وعلم التاريخ، وعلوم التفسير والقراءات السبع وتوابعها من التجديد والتلاوات وعلوم الحديث وعلم الكلام والرياضيات والطب والفقه، أما عن طريقة التدريس فكانت ترتب من قبل العلماء الكبار[4].

---

[1] -مزاحم علاوي الشاهري، **المرجع السابق** ، ص 184 .

[2] – ابن القاضي، **المصدر السابق** ، ص123.

[3] –أمحمد بوذية، **المرجع السابق** ، ص 98.

[4] – عبد الرحمن بن زيدان، **المصدر السابق** ، ص12.

ب/ الكتاتيب:

تعد الكتاتيب المرحلة الأولى على صعيد العالم الإسلامي، والموجه الأول للتعليم ولقد لقيت عناية كبيرة من قبل علماء المغرب الذين كتبوا عنها، ولم يحدد لها مكانا فقد تكون غرفة أ وحانوتا أو فناء وغالبا ما تكون قرب مسجد و أحيانا داخلها، وقد أخذ المربون النظر لسن الصبي الذي يدرس غالبا ما كانت الناحية العقلية هي الأساس وقد قال ابن العربي : " إن الصغير فهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب "، وقد قدر عمر الطفل بين الخامسة والسادسة، وبوجه عام فلقد كان تعليم الطفل متروك للآباء فإذا هم وجدوا الطفل بدأ في التميز والإدراك دفعوا به إلى المكتب[1].

ولقد كانوا يتعلمون القرآن الكريم قراءة وكتابة و حفظا والمشرف عليهم معلم واحد يتجمعون حوله على شكل حلقة بغض النظر عن تباين أعمارهم واختلاف تحصيلهم وكفاءاتهم، وبالتدريج يتلقون اللغة العربية وآدابها، وكانت إدارة الأوقاف تقوم على تقديم القاعة مجانا لهم، وكان التلاميذ يتلقون أجرا زهيدا بالإضافة إلى الهدايا، التي تقدم لهم في المناسبات خاصة الاحتفال بختم القرآن الكريم، حيث كان لكل تلميذ لوح صغير من الخشب و قلم من ريشة الأرز ودواة للحبر، وكان يكتب على اللوح درسه اليومي، فإذا تعلم التلميذ الدرس وحفظه و يغسل اللوح ويكتب درسا جديدا[2].

وكان الأولاد يأتون مبكرين بعد تناول فطورهم ويجلسون على الحصير الذي كان يغطي أرض الغرفة، ويظلون هناك حتى الظهر ويذهبون بعدها لتناول غدائهم و يعودون حتى صلاة العصر وبعدها ينتهي يومهم الدراسي، وكانوا يتعلمون الحروف العربية، وكانوا يرددون ما حفظوه، وكل جماعة تقرأ جزء يختلف عن الجماعة الأخرى، وعندما يكتشف الخطأ المعلم فينزل بالعقاب على تلك المجموعة وهو الفلقة عقاب التلميذ المتكاسل، وإذا تخطى الأولاد مرحلة التعليم هذه يستطيعون أن يدرسوا متى أذن لهم القاضي فإذا حصل واحد منهم على الإذن أذيع ذلك في الملأ معلنا عن الدرس الذي سيلقيه مختارا مسجدا أو زاوية و يعتمد نجاحه على زيادة عدد مؤيديها[3].

---

[1]- مزاحم علاوي الشاهري ، **المرجع السابق** ، ص169.

[2]- روجي لوطورنو ، **المرجع السابق** ، ص 170.

[3]- نفسه، ص 172.

وقد بلغ عدد الكتاتيب في مدينة فاس 135كتابا منها 120 للذكور و15 للإناث في عهد الحسن الأول[1].

ولقد وجدت بيوتات فاس لتدريس الصبيان القرآن الكريم والكتابة من أمثال بيت بني الزواوي وبيت بني أبي منديل[2].

المكتبات:

خزانة القرويين:

وهي خزانة الكتب التي كان يدخل إليها من أعلى المستودع الذي بها ولقد صنع هذه الخزانة المتوكل أبي عنان رحمه الله لاهتمامه بالعلم والرغبة في انتشاره، والتودد لقرائه ومنتحليه، أوسع لطلبة العلم هذه الخزانة وأخرج منها الكتب المحتوية على أنواع علوم الأديان والأذهان واللسان وغيرها من العلوم وعين لها قيما لضبطها ومناولة ما فيها، وأفاده بمكرمة وعناية [3] .

وأما خزانة المصاحف كذلك جعلها المتوكل أبو عنان في قبلة صدر الجامع وسهل للناس تلاوة القرآن في أي وقت من الأزمان، وأعد فيها جملة من المصاحف الحسنة، الخطوط البهية، الجميلة السنية، وأباحها لمن أراد القراءة فيها بعد أن كتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام و الليالي والأيام، وعين لها من ينفرد بإخراجها من هذه الخزانة وردها لصيانتها في موضعها [4].

ولقد تم تنظيم خزانة القرويين تنظيما جديدا وإنقاذها من فتك الأرضة بما أبقته اليد العادية من الكتب العالية ذات القيمة الغالية، حتى أصبحت الخزانة من كثير ما يزينها عارية بنهبها وإتلافها في السر والعلانية، شيدت بناية من ثلاث بيوت زيادة على الخزانة القديمة أحدها خصص لوضع الكتب المطبوعة وثانيها لوضع المخطوطات صغيرة الحجم وثالثها لحفظ الأدوات والآلات اللازمة للخزانة، وسعت قاعة المطالعة، وأصلحت قبة الخزانة وأحدث باب بخربة الخزارين لزوار الخزانة على اختلاف مللهم ونحلهم، وأسست ميضأة لخصوص القيمين بها والمطالعين[5].

---

[1]- محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول (1873/1894م 1290/1311هـ)** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1989م، ص 157.

[2]- مزاحم علاوي الشاهري، **المرجع السابق** ، ص169.

[3]- المكناسي، **المصدر السابق** ، ص 73.

[4]- الجزنائي، **المصدر السابق** ، ص 76.

[5]- عبد الرحمن بن زيدان، **المصدر السابق** ، ص166.

أسست الخزانة العلمية بالجانب الجنوبي من الجامع الأعظم بفاس الجديد وتحبيس نفائس الكتب، وأنشأها الإمام المولى الرشيد بن المولى الشريف، وقد جعل في هذه الخزانة مجلدا سماه : بالتلخيص في تفسير القرآن العزيز، فجعل عليها قيما وقد نقلت الكتب إلى الخزانة القروية حفظا من الأرضة[1].

[1]– عبد الرحمن بن زيدان، **المصدر السابق**، ص 14.

الفصل الثاني : الحياة الإجتماعية والثقافية في مدينة مراكش

المبحث الأول :نشأة مدينة مراكش وتطورها العمراني

في القرن 19/15م

المبحث الثاني : الحياة الإجتماعية في مدينة مراكش

المبحث الثالث :المراكز الثقافية والدينية في مدينة مراكش

المبحث الأول: نشأة مدينة مراكش وتطورها العمراني(19/15م)

نشأة مدينة مراكش:

تذكر المصادر التاريخية أن تأسيس مراكش يعود إلى سنة أربع وخمسين و أربعمائة من طرف يوسف بن تاشفين عندما علت همته وذاع صيته، أراد أن يبني مدينة يأوي إليها بحشمه و جنده وتكون حرصا له فاشترى موضع مدينة مراكش كان يملكه المصامدة [1].

يقول صاحب كتاب السعادة الأبدية: " أن مراكش بنيت في الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها ، ويعرف بالسجينة "[2].

ويقول صاحب المعرب :" أنها كانت ملكا لعجوز منهم، و يتم الناصري كلامه بأن الموضع به خيام من الشعر فبنى فيه يوسف بن تاشفين مسجدا لصلاته وقصبة صغيرة لاختزان ماله وسلاحه ولم يبن على ذلك سورا، ويقول كذلك أبو الخطاب بن دحية في كتابه النبراس:" أن موضع مدينة مراكش كان مزرعة لأهل نفيس فاشتراه يوسف منهم "وفي كتاب المعرب يروي أن يوسف بن تاشفين خط مدينة مراكش بموضع كان يسمى بذلك الاسم – ومعناه بلغة المصامدة امش مسرعا – وكان ذلك الموضع مكمنا للصوص فكان المارون يقولون لرفقائهم تلك الكلمة فعرف الموضع بها [3].

ويقول مارمول في كتابه إفريقيا :"أن مراكش كانت تدعى قديما بوكانو إيميرو، وعاصمته القديمة هي مدينة أغمات، ومنها أتى لمتونة أو المرابطون ليؤسسوا أولا في الدولة (دولة) ويشيدوا من بعد مدينة مراكش لتكون قاعدة مملكتهم و عاصمة ليس للإقليم فقط، ولكن لكافة غرب موريطانيا الطنجية [4].

وقيل عن مدينة مراكش في كتاب وفيات الأعيان: أن مراكش مدينة عظيمة بناها يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش، معناه امش مسرعا بلغة المصامدة، وكان ذلك الموضع مأوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعرف ذلك الموضع بها، وتم ضبط شكل

---

[1]– الناصري، ج2، **المصدر السابق** ، ص 24.

[2] – محمد بن محمد بن عبد الله الموقت المراكشي، **السعادة الأبدية في التعريف بالحضرة المراكشية** ، مرا: أحمد متفكر ، ط3 ، مؤسسة الآفاق ، مراكش ، 1432هـ/2011م ، ص15.

[3]– الناصري، ج2، **المصدر السابق** ، ص 24.

[4]– مارمول كاربخال، ج2 ، **المصدر السابق** ، ، ص41.

كلمة مراكش بضم الميم و تشديد الراء وكسر الكاف، بلد بأقصى المغرب و مراكش بفتح الميم ثم تشديد الراء مفتوحة، وبعدها ألف وضم الكاف وشين معجمة، أعظم مدينة بالمغرب وأجلها "[1].

ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة[2].

ومراكش أو مروكش هو اسم مراكش في عهد المرابطين انتقلت إلى الاسبانية : Marruecos[3].

في الكثير من المصادر والوثائق القديمة: مراكش بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة وضم الكاف ، فقد أشار ياقوت الحموي أن هناك من ينطق الكاف بالكسر[4]وقد استعمل صاحب كتاب صاحب كتاب التبيان عبارة :"مروكش "بفتح الميم وضم الراء المشددة وضم الكاف، كما أن عبارة مراكش بميم مضمومة وراء مفتوحة مشددة وكاف مكسورة من صنع المتأخرين الذين حاولوا إضفاء الصبغة العربية على التسمية كابن خلكان [5]وبهذا تبقى التسمية الأولى مراكش هي الأصلية والجديرة بالاعتبار ولا يخلو مدلول الكلمة من تناقض و أخذ ورد فعند صاحب المعجب أنها سميت باسم عبد اسود كان يستوطنها يخيف الطريق اسمه "مراكش" [6] إلا أن البعض يميل إلى القول بان الموضع الذي بنيت فيه هو الذي يحمل هذا الاسم، ومعناه (امش مسرعا) بلغة المصامدة ذلك انه كان مأوى اللصوص، وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة فعرف الموضع بها[7].

---

[1]– المكناسي ثم المراكشي، **المصدر السابق** ، ص 17.

[2]– الناصري، ج2 ، **المصدر السابق** ، ص24.

[3]– عبد العزيز بن عبد الله، **تاريخ المغرب** – العصر الحديث والفترة المعاصرة ، مع المعجم التاريخي أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة أبجديا، مكتبة السلام الدار البيضا ومكتبة المعارف الرباط، د.ت.ن، ص 65.

[4]– ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر،بيروت،1957م، ص07.

[5]– حسن جلاب، **الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال**، ط1،الوراقة الوطنية، مراكش، 1994م، ص53.

[6]– عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان ، د.د.ن، القاهرة، 1994م،ص100.

[7]– ابن خلكان، **وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م، ص124.

- وقد قال عنه صاحب الحلل الموشية :(وهو خلاء لا أنيس به الا الغزلان والنعام، ولا ينبت إلا السدر والحنظل)[1]

- وأشار ابن خلكان إلى القول :(وكان موضعها قرية صغيرة ،في غاية من الشجر، وبها قوم من البربر)[2]

تقع مدينة مراكش في سهل كبير على بعد ستة فراسخ من جبل الأطلس ويحدها من الشرق مملكة فاس ومن الغرب مملكة تارودانت ، ومن الشمال البحر المحيط الذي توجد بشاطئه مدينتا أزمور ومازيغن ، ومن الجنوب بلاد درعة و تيكورارين [3]

وقال ابن خلدون : اتخذ يوسف بن تاشفين [4]مدينة مراكش لنزوله و نزول عسكره ، وللتمرس وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن، إذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا [5].

توصف مدينة مراكش بأنها دار فقه وعلم وصلاح، وبأنها قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها، فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، بسيطة الساحة، مستطيلة المساحة، كثيرة المساجد، عظيمة المشاهد، جمعت بين عذوبة الماء واعتدال الهواء، وطيب التربة، وحسن الثمرة، وسعة المحرث وعظيم بركته [6].

---

[1]- مجهول، **الحلل الموشية في ذكرالاخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، د.د.ن، الدار البيضاء، د.س.ن،ص16.

[2]- ابن خلكان، **المصدر السابق**، ص124.

[3] - ديكو دي طوريس، **المصدر السابق**، ص 55.

[4] **– يوسف بن تاشفين**: بن إبراهيم بن تورفيت بن وارتقطين بن منصور بن أمية بن واتلمي بن تامليت اللمتوني الصنهاجي ، كنيته أبو يعقوب ومن المؤرخين من وصل نسبه بحمير ، كانت أولى مراحل قيادته العسكرية حين غزا سجلماسة وأخذ بيعة أهلها لأب بكر بن عمر ،وقد ضاق المجمع وتسلم يوسف بن تاشفين زمام الأمور من يد ابن عمه أبي بكر بن عمر ، قاصدا مدينة فاس واستولى علها أمر بهدم الأسوار لتوحيد العدوتين داخل سور واحد، وبتوسيع جامع القرويين كما أمر ببناء الفنادق والحمامات وأصلح أسواقها ، فأضحت فاس قاعدة عسكرية . أنظر **معلمة المغرب**، **المرجع السابق**، ج 25، ص ص 334 – 340.

[5] - الناصري، ج2 ، **المصدر السابق**، ص25.

[6] - المكناسي ثم المراكشي، **المصدر السابق**، ص 17.

التطور العمراني لمدينة مراكش:

لما قدم يوسف بن تاشفين إلى مدينة مراكش شرع في بناء مسجد مراكش، وكان يعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه لله تعالى قال :" والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها، ويعرف اليوم بالسجينة ، وحفر بالموضع آبارا فاستوطنوا وبنو بها، وظلت مدينة مراكش بلا سور إلى أن توفي يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى، وولي بعده ابنه علي بن يوسف ومضى معظم دولته فأدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسمائة، وكانت مدة البناء ثمانية أشهر، وبنى علي بن يوسف أيضا الجامع الأعظم المنسوب إليه اليوم والمنار الذي عليه [1].

مدينة مراكش لها أسوار متينة، مبنية بالجير والرمل الممزوجين بتراب جيد يجعل الخليط صلبا لدرجة أنه إذا أصيب بضربة معول، تطاير منه الرشاش كأنه صخر ، ولها أربعة و عشرون بابا، وتستطيع أن تضم مائة ألف نسمة وهذا العدد كان في دولة على بن يوسف ، ولقد كانت من أغنى وأعظم المدن الإفريقية أيام اللمتونيين والموحدين، وتوجد في الجهة الجنوبية قصبة كبيرة تضم أكثر من أربعة آلاف دار، ولها أسوار متينة وأبراج وخندق ونهر صغير ليس فيها سوى بابين أحدهما في جهة الجنوب ويفضي إلى البادية، والآخر في جهة الشمال نحو المدينة [2] .أنظر الملحق ر(08) ص115.

وهناك حراس من جزولة، يراقبون الداخلين والخارجين، ويمنعون الأسرى المسيحين من الخروج إلا مع حرسهم، وعند الدخول من الباب الأول من جانب الوادي، يجد مساحة صغيرة فيها عدة مخازن، كانت في القديم مخزن للحبوب ويقع الباب الثاني في زقاق مستقيم، يفضي إلى ساحة كبيرة فيها جامع عبد المومن ملك الموحدين، وهو بناء ضخم جميل من الداخل والخارج، وقد زاد فيه حفيد يعقوب المنصور خمسين ذراعا في العلو وذلك لأنه منحدر جدا، وبنى صومعته الشبيهة بصومعتي إشبيلية والرباط، وزين الجامع بأعمدة رخامية [3].

---

[1]- الناصري، ج 2، **المصدر السابق**، ص 26.

[2]- مارمول، ج2، **المصدر السابق**، ص 48.

[3] - **رحلة الأسير مويط**، تر : محمد حجي، محمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريساني، د.د.ن، المغرب ، د.س.ن، ص43.

وفي الجهة الجنوبية من المدينة قصبة كبيرة، توجد فيها القصور الملكية كما أن القصبة و المساجد تمتاز بكبرها، للمسجد ثلاث تفاحات ذهبية و الرابعة فضية أكبر من الذهبية، ووضعت بمال الغنائم التي كانوا يحصلون عليها وكانت هذه التفاحات تظهر من بعيد، ويستعمل من أبواب مراكش خمسة أو ستة أبواب وهي: باب فاس في الشرق، وباب دكالة في الشمال، وباب سيدي أبي العباس، وباب الدباغين، وباب الزوكو في اتجاه الغرب، وباب القصبة باب يسمى باب الغدر" باب" ومعناه المدخل و الأبواب الأخرى تحمل أسماء الأقاليم التي تفضي إليها، ولمراكش أزقة وساحات منسقة يقيم بها الصناع و تباع فيها البضائع والكتب، بالإضافة إلى منازلها الفخمة، والدكاكين والفنادق، والأسواق ومناجم النحاس والحديد، وفيها قنطرة غاية في الضخامة جلبت منه عدة قنوات ماء وتدير طاحونات وتسقي البساتين وتزود المساجد وقصور الملك والخواص بالماء[1].

لمدينة مراكش قصور مثل قصر البديع الذي أنجزه الملك السعدي أحمد المنصور[2] ، ويصهر فيه سلاح المدفعية ، وتصنع فيه الأسلحة والذخيرة الحربية ، وكان أمام هذا القصر قصر آخر أكبر منه يقيم فيه رماة الحرس، وتوجد دور ودكاكين داخله، وهناك مدرسة لأبناء الأمراء والملوك فيها قاعة كبيرة جميلة مربعة تحيط بها من كل جانب رفوف وخزانات كتب، وهناك ساحات للاحتفال بالمناسبات والأعياد، وهناك حي لليهود في وسط المدينة في مكان يضم أزيد من ثلاثة آلاف منزل لكن نقل إلى أحد الأطراف بالقرب من باب أغمات حتى يكون اليهود مفصولين عن المسلمين،تحيط بهذا الحي أسوار من جميع جهاته، وبنيت داخل الأسوار عدة ديار وبيع [3].

كانت مدينة مراكش دار للمرابطين ثم الموحدين ثم جاءت دولة بني مرين من بعدهم واتخذوا كرسي مملكتهم بمدينة فاس وبنو بها المدينة البيضاء، ثم جاءت الدولة السعدية من بعدهم فنقلوا الكرسي إلى مراكش وبنو بها قصر البديع المشهور، وخلفت بعدهم الدولة العلوية فاتخذت كرسي المملكة بمكناسة الزيتون [4]. أنظر الملحق (09) و(10)ص ص116-117.

---

[1]- ديكو دي طوريس، **المصدر السابق** ، ص58.

[2]- عبد الهادي التازي، **قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا** بواعث تشييده وعملية ترميمه ، د.د.ن ، الرباط ، 1911م، ص06.

[3]- مارمول، ج2، **المصدر السابق** ، ص 56.

[4]- ريمي لوفو، **الفلاح المغربي المدافع عن العرش** ، تر: محمد بن الشيخ ، ط1، منشورات وجهة نظر ، الرباط ، 2011م، ص132.

واحتفل في بنائها المولى إسماعيل بن الشريف ثم جاء المولى محمد بن عبد الله رد كرسي الملك إلى مراكش وبنى بها قصوره ومصانعه واستمرت حتى الآن، لمراكش مزارات أولياء ومدافن صلحاء وقد ذكرها الوزير بن الخطيب في مقامات البلدان بأنها " هي تربة الولي وحضرة الملك الأولى "[1].

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش

البنية السكانية:

عرفت مراكش مجموعات بشرية متنوعة فقد حلت فئات من العلوج من مختلف الأجناس وهم النصارى الذين دخلوا في الإسلام طواعية أو عن طريق الإغراء ليتمكنوا من العمل في خدمة الدولة وكان تأثير الإسبان منهم بالغا، فلقد ساهموا في تقرير غزو السودان وانتشرت اللغة الإسبانية بمراكش إلى درجة أنها أصبحت في أواخر القرن 11هـ/17م تضاهي العربية في انتشارها، بالإضافة إلى الأسرى المسيحيين الذين سكنوا المغرب تحت مراقبة الدولة أو الحكام المتمتعين بالاستقلال الذاتي و كان مقام الكثيرين منهم يطول لسنوات عديدة حتى يتم تقديم فدية من قناصل دولهم ليتخلص من الأسر، أو يعتنقوا الإسلام أو يحتفظوا بوضعيتهم كأسرى [2].

ويبدو أن المدينة قد أخذت صورتها الحالية واستكملت المزيج البشري الذي يسكن بها ،فبالإضافة إلى الشعوب البربرية الثلاثة (صنهاجة، مصمودة، زناتة)،والعناصر العربية الواردة على المدينة في آخر العصر الموحدي، دخلت عناصر بشرية أخرى إلى المدينة إذ نجد:

الأندلسيون: خصص لهم حوالي سنة سبعين وتسعمائة حيان هما :"روض الزيتون القديم" و"روض الزيتون الجديد" بنوا بهما القصور والدور واغترسوا خلف الأسوار جنات في ساحات شاسعة والتحق بهم كثير من أندلسي الرباط وسلا هروبا من مضايقات العياشي وأصحابه الذين كانوا يتهمونهم بمد يد العون إلى الاسبان[3].

عنصر المماليك: جلبهم المنصور السعدي من السودان وأضاف الجيش المغربي فرقة منهم ولعل الكثير منهم كانوا ينزلون بالقصبة بالقرب من قصر البديع حيث إحياء العبيد والتوارق ، وتكاثر عددهم فيما بعد وامتزجوا بالسكان.

---

[1]– الناصري ، ج2، **المصدر السابق** ، ص 26.

[2] – إبراهيم حركات ، ج 2 ، **المرجع السابق** ، ص 365.

[3]– عبد العزيز الفشتالي، **المصدر السابق**، تح :عبد الكريم كريم، ص 42.

اليهود: تم تجميعهم في هذا العصر في حي واحد هو "حي الملاح " فبعدما كانوا يمنعون من المبيت في المدينة و يضطرون إلى مغادرتها كل ليلة من باب إيلان سمح لهم فيما بعد بالسكن إلى جانب المسلم.

المسيحيون: جرفت المدينة عناصر مسيحية فحين كان الجيش المغربي يتوفر على فرقة مسيحية تضاعف عددها مع ابنه علي وكانوا يقيمون شعائرهم على مقربة من المسجد المنصوري وآخر الزيادات عرفتها المدينة خلال العصر العلوي ففي أقصى الشمال شيدت أحياء قاع المشرع وسيدي غانم، وكان لهذه التجمعات السكانية عدة وظائف منها الوظيفة السياسية والقضائية [1].

كان أغلب سكان مراكش بربريون يتحدثون البربرية إلى جانب القبائل العربية، كذلك الأندلسيين الذين كان يحملون لواء أخضر يميزهم عن غيرهم، كان لهم دور كبير في الميدان العلمي وسجل بروز أعداد من أفراد هذه الجالية بالمدينة نذكر منهم: أحمد بن قاسم بن ميهوب برع بالحساب والهندسة والتنجيم وعلي بن إبراهيم الأندلسي الذي مهر بالطب [2].

العادات والتقاليد:

يوصف أهل مدينة مراكش ببياض بشرتهم وبنبلهم وبامتلاكهم لجياد الخيل وتربيتها ، وتوصف هذه الجياد بخفتها وسرعتها، بها ركابات صغيرة، يحبون الصيد ويقتنون الطيور الكواسر التي تجلب بكثرة من جبل الأطلس فالبزاة ممتازة والنسور الملكية التي يصطادون بها الغزلان [3].

يقول مارمول في كتابه إفريقيا عن أهل مراكش:" يتكلمون لغة البربر ويرتدون جبات من جوخ ملونة تصل إلى حد الأرجل، وقطعا صغيرة مفصلة على شكل القرن كأنصاف سترات من فوق من شملة رقيقة أو من خيوط الحرير والصوف، ولهم قمصان وسراويل من قماش أبيض وقلنسوات قرمزية مع عمامات صغيرة، يرتدي الأعيان سترات قرمزية أومن لون الحرير أو من قماش كامبري الرفيع، ولباس

[1]- حسن جلاب، **المرجع السابق**، ص ص 66-68 .

[2]- محمد رزوق ، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16/17م** ، إفريقيا الشرق ، ط3، الرباط ، 1986م ، ص319.

[3]- ديكو دي طوريس ، **المصدر السابق** ، ص59.

العامة كذلك، ولكن بأثمان أقل، وللعديد منهم دثارات مخصرة ملونة لها أربع أذيال ونصف أكمام ضيقة، والكل بأزرار وفوقه شبه سترات أو معاطف من ثوب خشن [1].

كان أهل مراكش يضعون على رؤوسهم طاقيات حمراء قرمزية بدلا من القبعات كانت تأتيهم من طليطلة، وكانوا ينتعلون أحذية كبيرة وأخفافا، أما ملابس النساء فكانت عبارة عن قمصان واسعة جدا، تسدل إلى ما تحت الركب وحتى السراويل وهذه عريضة في الأعلى وضيقة في الأسفل تنحدر إلى أسفل الساق، كما أنهن يلبسن حسب منزلتهن فساتين نصفية على الطريقة التركية، تكون من حرير في الصيف ومن قماش قرمزي أو جوخ رفيع في الشتاء، هذا هو زي أعظم سيدات مراكش وينتعلن أيضا أحذية خفيفة وأخفافا، ويضعن على فساتينهن كساء طويلا من حرير أو صوف [2].

والكساء الذي كن يلبسنه من حرير أو من صوف، مطرز ذا أهداب في الأطراف، ويثنى بحيث إذا ألقي عليهن أثبت على الصدر بنوع من حلقات من ذهب أو فضة أو معدن آخر، كذلك يحملن خواتم عديدة من فضة وذهب ولآلئ وجواهر وأقراط وقلائد، وأساور في سواعدهن، وخلاخل في السيقان [3].

أما بالنسبة لحسن الوزان فقد تكلم عن لباس أهل مراكش في كتابه إفريقيا قائلا " يلبس معظم الناس ثوبا من الصوف يدعى كساء يشبه غطاءات الفرش التي تستعمل في إيطاليا، يلفون به أجسامهم لفا جيدا، ويأتزرون بنوع من فوط الصوف، ويضعون على رؤوسهم قطعة من نسيج الصوف ، طولها عشرة أشبار وعرضها شبران، مصبوغة بلحاء جذور شجرة الجوز، يفتلونها ويديرونها حول رؤوسهم بحيث أعلى الرأس دائما مكشوفا، ولا يحمل القلنسوة منهم عادة إلا الشيوخ والفقهاء إن وجدوا، وهذه القلانس مزدوجة مستديرة في علو القلانس يحملها بعض الأطباء في إيطاليا، ولا يلبس القميص منهم إلا القليل، لأن الكتان لا يزرع في هذه البلاد أولا، ثم لأنه لا أحد منهم يعرف نسجه، يجلسون على حصر مفتولة من الوبر ونبات الأسل، وينامون على أغطية مصنوعة من الصوف الطويل أيضا يتراوح طولها بين عشرة أذرع وعشرين ذراعا، يستعملون طرفا منها كفراش وطرفا آخر كإزار وغطاء من فوقهم، وفي الشتاء يوضع جانب الغطاء الوبري في الداخل مما يلي الجسد

[1]- مارمول، ج2 ، **المصدر السابق** ، ص 57 .

[2]- ديكو دي طوريس، **المصدر السابق** ، ص 60 .

[3]- نفسه، ص 60 .

ويعكس الوضع في الصيف، والمخدات والوسادات أصناف من أكياس الصوف الخشنة الصلبة من نوع بعض أغطية الخيل الواردة من ألبانيا وتركيا "[1].

يتناول أهل مراكش خبز الشعير الذي يشبه الرغيف، يعجن بلا خميرة وينضج على مقلاة فخار على صورة غطاء القدر، لا يخبز في الفرن إلا نادرا، وهناك طعام خشن يدعى العصيدة، ويهيأ بالطريقة التالية: يغلى الماء في قدر ثم يوضع فيها دقيق الشعير ويحرك بقضيب حتى ينضج، تصب هذه العصيدة في طبق مجوف، وتجعل في وسطه حفرة تملأ بزيت الهرجان هذه، وتجتمع الأسرة حول هذا الطبق فيأخذ كل واحد منه بيده دون ملعقة، وفي خلال الربيع والصيف كله يطبخ هذا الدقيق في اللبن ويدهن بالزبدة، ذلك هو العشاء العادي، أما الغداء في الشتاء يتكون من الخبز والعسل، وفي الصيف من اللبن والزبدة ويؤكل أيضا اللحم مطبوخا بالبصل والفول، أو مصحوبا بطعام آخر يسمى الكسكسو، ولا يستعملون الموائد ولا السمط، وإنما يفرشون على الأرض حصرا مستديرة يأكلون عليها [2].

وكان من عادة أهل مراكش أن العزاب عندهم أن تكون لهم لحى، وإنما يعفون لحاهم عندما يتزوجون، وليس لهم سوى القليل من الخيل، لكن هذا القليل تعود على قطع تلك الجبال بخفة ومهارة حتى ليظن أنها قطاط ولا تصفح سنابكها بالحديد، ولا يحرث الحاحيون إلا بالحمير والخيل، ويوجد في هذه المنطقة عددا وافرا من الوعول والغزلان والأرانب إلا أنهم لم يعتادوا صيدها ويوجد في مدينة مراكش بعض الحلاقين الذين اقتصرت عملياتهم الجراحية على ختان الأطفال [3].

المرأة:

المرأة المراكشية كانت متحضرة وأنيقة تمشي وهي متزينة بعدد من الأساور الملولبة والمنبسطة من الذهب والفضة، وبكمية من الدرر والجواهر في العنق والرأس والأذنين، لباسهن من الحرير أو القماش الرفيع يسترهن حتى الأقدام وليس لهن سراويل كالفاسيات، لا تخرج السيدات من منازلهن إلا للقيام

[1]- ديكو دي طوريس، **المصدر السابق**، ص61.

[2]- الحسن الوزان، ج1، **المصدر السابق** ، ص96-97 .

[3]- نفسه، ص 98.

بزيارة أو للذهاب للمسجد، وإذا خرجن إلى الحمام حجبن وجوههن جيدا ليختفين عن الأنظار لكنهن ظريفات [1].

المرأة المراكشية ذات حسن رائع ولذلك كانت لا تتحدث لرجل لا تعرفه فهي لا تخرج من منزلها إلا وهي متلثمة، وإن كانت سيدة ذات منزلة رفيعة رافقها مغربي يحرسها، ولا يزورها في بيتها أحد، لأن المغاربة غيورون جدا، وكانت تصنع الزرابي التركية من عدة أنواع تستعملها، ولقضاء ما يحتجن إليه من خدمة خارج المنزل عندهن عبيد بيض وسود، وبدلا من غاسلات الملابس يتخذن نوتيين يزاولون مهمة تنظيف الغسيل واللاتي لا عبيد لهن، يقوم أزواجهن بالخدمة خارج المنزل [2].

المبحث الثالث : المراكز الثقافية والدينية في مدينة مراكش

المساجد والزوايا والأوقاف:

كانت الحياة الثقافية في عهد السعديين مزدهرة، حيث أولت الدولة السعدية عنايتها الكبرى للشؤون الثقافية في البلاد فتجددت حركة العلم والأدب في حين احتل رجالها مكانتهم المرموقة في المجتمع المغربي، وظهر تأليف الكتب في شتى العلوم والفنون والآداب خصوصا في عهد الملك العظيم أحمد المنصور الذي يعتبر عصره من أزهى العصور، حيث كان ممن أولى العناية بتشجيع العلم و الأدب، ولكن يجب أن نثبت ملاحظة هامة وهي أن النشاط الثقافي الذي استؤنف في العهد السعدي لم يستطع التقدم إلى الأمام بحرية وانطلاق بسب قيود التأخر الذي كان أصابه من قبل، ويعود بسب ظهور الازدهار العلمي و الأدبي لوجود كثير من نوابغ الأندلسيين في المغرب الذين هاجروا إليه واتخذوها موطنا ثانيا لهم بعد ضياع فردوسهم، ومضايقة الاسبان لهم في دينهم وعروبتهم وثقافتهم، وكان من بين العلماء فطاحل في الطب والفلسفة والحساب والحيوان والنبات، وعلى أيديهم نبغ كثير من المغاربة الأقحاح [3].

وكان في مراكش العديد من المساجد و بعض الزوايا كالزاوية الدلائية التي كان لها فضل العظيم في الدور العلمي وكانت مصدر الإشعاع الفكري في مختلف فروعه وحافظت بأمانة على ثقافة المغرب خلال الفترة الاضطرابات السياسية التي سادت البلاد في أواخر أيام الدولة السعدية ونشأة الدولة

[1]- مارمول، ج2 ، **المصدر السابق**، ص 57 .

[2]- ديكو دي طوريس، **المصدر السابق**، ص61.

[3]- محمد الأمين محمد ،محمد علي الرحماني، **المرجع السابق** ، ص205.

العلوية وإلى الدور الثقافي العظيم الذي قامت به، وإلى الدور السياسي للزاوية في الوقت الذي كانت فيه البلاد مقسمة إلى قسمين، وكان الانتاج الفكري في المغرب في ذلك العهد متنوعا ينبع من الثقافة الأوربية بسبق تردد علماء المغرب على الدول الأوروبية، ومن العلوم التي كانت سائدة ذلك العصر العلوم الشرعية كالفقه و الحديث والتفسير[1].

وكانت المساجد تقوم بوظيفة التعليم حيث كانت تقام فيها المناقشات الفقهية و اللغوية و الأدبية ونذكر من المساجد التي كان في مراكش ما يلي :

1- **جامع علي بن يوسف**: الذي هدمه عبد المؤمن من ملوك الذين جاؤوا بعد اللمتونين وأعاد بناءه لغرض واحد وهو أن يمحو اسم علي ويجعل اسمه مكانه، ويوجد أيضا قرب القصبة، وبني تحته خزان مائي بأقواس على جميع مساحة الجامع، وشيد كذلك جامع آخر بناه عبد المؤمن وزينه بعدة أعمدة جلبها من إسبانيا صومعة بالحجر الضخم الشبيه بحجر بروج الكوليزي بروما، والجامع المذكور غير مزخرف كثيرا من الداخل و الواقع أن هذا الجامع من أبهى معابد العالم، لكنه اليوم مهجور لأن سكان مراكش تعودوا ألا يقيموا فيه غير صلاة الجمعة، والآن المدينة قليلة السكان جدا لاسيما في الحي المجاور لهذا الجامع، وحتى الوصول إليه يعتبر كثيرا بسبب أنقاض الخرائب المتراكمة في الطريق وكان تحت رواقية قديما نحو مائة دكان للكتابين لم يبق منها اليوم ولو واحد، وكان بناءه بناء ضخما، وأزال منارته الأصلية التي بيه قديما ولازال أثرها بقيت وظاهرة شيدت به منارة بديعة الحسن رائقة الصنعة في حين لا تزال قاعة الصومعة ظاهرة إلى يومنا هذا [2].

2- **مسجد الكتيبين**: بني هذا المسجد سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، والباني له هو عبد المؤمن بن علي لكومي الموحدي وارث المهدي بن تورمت وفي سنة احدى وتسعين وخمسمائة شيده حفيده السلطان المشهور يعقوب المنصور منار، وهذا الجامع العجيب وجعل في طوله مائة دراع وعشرة أذرع بالصنع الأنيق.

[1]- محمد الأمين محمد ،محمد علي الرحماني، **المرجع السابق**، ص208.

[2]- المراكشي، **المصدر السابق** ، ص19.

3-**مسجد المنصور الموحدي:** بني سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، جعلوا له ثمانية أبواب، كما جعلوا له مقصورة عجيبة هندسة تنتصب له إذا استقر وتنخفض إذا انفصل عنها، وبالمسجد المذكور ترى جزعا من النواب لإسرافهم فيما بذلوه في تأسيسه [1].

4-**مسجد بريمة:** وبني هذا المسجد سنة تسع وتسعين ومائتين والف والباني له السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي .

5- **مسجد هيلانة:** وبني هذا المسجد في فاتح رحب سنة اثنين و ألف والباني له السلطان سيدي محمد بن عبد الله يعرف مسجد حومة باب ايلان.

6-**مسجد الشيخ محمد بن صالح:** بني هذا المسجد سنة ثمان عشرة وسبعمائة والباني له السلطان أبو الحسن المريني .

7- **مسجد حارة الصورة:** المؤسس له هو السلطان حسون المريني الوطاسي وزخرفه السلطان مولاي عبد الله السعدي وفي زمن سيدي محمد بن عبد الله العلوي أقيمت الجمعة به.

8- **مسجد الولي الصالح سيدي يعقوب الحكيم:** يقع حومة الموقف منها مسجد القطب الشهير سيدي عبد العزيز إتباعه رضي الله عنه[2].

9- **مسجد القطب الشهير:** مولاي محمد الجزولي بني هذا المسجد عام خمسة عشر وسبعمائة، وكان زمن أبي الحسن المريني، وفي عام اثنين وثلاثين ومائة وألف زاد السلطان مولاي إسماعيل قام بزيادته وإتقانه على الشكل الموجود الآن و أمر بإقامة الخطبة فيه.

10- **مسجد القطب الشهير أبي العباس السبتي:** بني هذا المسجد سنة اثني عشر وألف والمؤسس أبو فارس السعدي .

11- **مسجد الولي الصالح سيدي غانم السباعي** ومسجد الحارة الخارج باب الدكالة .

12- **مسجد باب دكالة:** وبني هذا المسجد سنة خمس وتسعين وتسعمائة إنشائه الحرة مسعودة أم السلطان مولاي أحمد الذهبي المعروف بالمنصور السعدي [3].

---

[1]- المراكشي ، **المصدر السابق** ، ص21.

[2]- نفسه، ص 21.

[3]- المقري أحمد بن محمد، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، ط2، المطبعة الملكي، الرباط، 1988م ص 63.

12- **مسجد المواسين**: الباني له السلطان مولاي عبد الله السعدي كما أنشا السقاية العظيمة التي بإزائه [1].أنظر الملحق ر(11)و (12)ص ص 118-119.

13- **مسجد حومة ضباشي**: مسجد العارف بالله أبي إسحاق الاندلسي بالرحبة: وبني هذا المسجد السلطان سيدي محمد بن عبد الله غير أنه لم يتممه وأكمله ولده السلطان مولاي السليمان.

14- **مسجد حومة القنارية**: وهذا المسجد من المساجد القديمة الصغار أسس منذ أسست الحومة على عادة أهل هذه الحضرة المراكشية أنهم يؤسسون في كل درب مسجدا لهم ولم تكن تقام فيه جمعة قديما إلى عام واحد وستين ومائتين وألف، قرر أهل حومة ذلك المسجد أن يجمعوا مالا من بيت المال فصيروه عليه وأقاموا فيه الجمعة من ذلك الحين.

15- **مسجد رياض الزيتون القديم** ومسجد جنان[2].

الزوايا في مراكش :

الزاوية الشرقاوية: يعود تأسيس الزاوية الشرقاوية إلى أبي الجعد وهي فترة التصوف المغربي في القرن 19م التي عرفت هجوم استعماري صليبي قصد طمس معالم البلاد الحضارية ودوس مقدساتها وتهديد كيانها في حين تمت تعبئة البلاد من أقصاها، في مسيرة جهادية وطنية وفي هذه الظروف نشأ وترعرع محمد الشرقي مؤسس زاوية أبي الجعد، و يعود تاريخ تأسيس الزاوية في الراجح أن يكون بداية الستينيات من القرن 10هو16م أي ما بين 960هـ و 964هـ إلى هذا التاريخ ترجع المصادر أول اتصال للشرقي بالسلطات السياسية السعدية القائمة في عهد السلطان محمد الشيخ وهذه الزاوية الأولى تقع على الطريق الذي كان يسلكه أبو بكر الدلائي أثناء تردده على شيخه القسطلي بمراكش [3] .

كما أن هذا التأسيس يوافق بلوغ الشرقي الثلاثين من عمره ورغب في تأسيس زاويته في منطقة الدير، حيث تتوفر إمكانيات اقتصادية في سهل وهو فرصة استقطاب نفوذ الصلحاء في

---

[1]- محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة** ، ط1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، الرباط ، 1991 ، ص 78.

[2]- المراكشي، **المصدر السابق**، ص 22.

[3]- أحمد بوكاري، **الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد إشعاعها الديني و العلمي**، ط1، د.د.ن، د.ب.ن، 1406هـ/1985م، ج 1، ص 69.

المنطقة أي أن معظم الصلحاء قد استقروا بجوار الأودية خاصة حول وادي أم الربيع وعند منابع الأنهار والعيون بالدير، وقد شهدت هاته زاوية أخصب فترة في حياة محمد الشرقي استمدت شهرتها و إشعاعها من قوة وهيبة مؤسسها وترددت أصداء هذه الشهرة في كل من العاصمتين مراكش وفاس فقد بعث إليه أحمد المنصور الذهبي وفد إلى زيارته، وأمره بأن يكون تأسيس زاوية أبي الجعد الثانية والحالية إلى مطلع القرن الحادي عشر الهجري 17م و بالضبط ما بين 1008-1009 هـ الموافق 1599-1600م في حين كان تأسيس زاوية أبي الجعد الأولى يرجع إلى بداية النصف الثاني من القرن 10هـ /16م[1].

أ/خلفاء أبي عبيد الله الشرقي:

عرفت زاوية أبي الجعد مباشرة بعد اختفاء مؤسسها محمد الشرقي في مطلع القرن11 هـ/17م أكبر امتحان لها، ويتمثل في مشكل الوراثة والخلافة فقد أكد أبو خلفاء عبيد الله الشرقي في حياته على ضرورة استمرار الزاوية في مهامها، ولكن لم يأذن لأحد من أبنائه بالأحقية والأسبقية وخلفاء أبي عبيد الله الشرقي 1010 هـ /1607م محمد الغزواني عبد السلام وعبد القادر وعبد الخالق ومحمد لمفضل وأحمد المرسي ومحمد المعطي ومحمد الصالح ومحمد العربي فحين تمحور الصراع والتنافس في البيت الشرقاوي بين شخصيتين صوفيتين بارزتين، وهما أبا محمد الغزواني وأبا محمد عبد السلام، في حين أقدم والداهما على القسمة أعطي لغزواني الشاقور وعبد السلام أعطاه الفخار ولكن ظهر نزاع بينهم وحسم لصالح لغزواني استأنفت الزاوية نشاطها بشكل وضوحا وأكثر تنظيما بعد فترة من الاضطرابات خلال القرن11 هـ، وتعاقب على تسير شؤون الزاوية عدد من الشيوخ ينحدر جميعهم من نسل أبي محمد عبد القادر أحد أبناء الشرقي نظرا لأهمية الدينية تزايدت بعد اختفاء الإخوة ودليل ذلك ضريحه ملاصقا لضريح والده دون سائر إخوته إلا أن ابنه عبد الخالق بعدها اضطر لمغادرة اتجاه مراكش واتخذها مقرا له، وكان يحيط مظاهر الاحترام والرعاية من طرف السلطان المولى إسماعيل في حين هذا لم يمنع عبد الخالق من الاهتمام بالتعليم وتكوين ابنه محمد المعطي [2].

[1]-أحمد البوكاري، المرجع السابق، ص86.

[2]- نفسه، ص 100.

أبوعبد الله محمد المعطي المتوفى 1092 /1681م: أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن عبد القادر بن الشيخ الشرقي الملقب المعطي لتعرف سنة ميلاده واستقر بمراكش كان يجالس كبار علماء وأشياخ العاصمة مراكش أمثال أبي بكر لسكتاني، ولقاضي عيسى بن عبد الرحمان لسكتاني قضي معظم حياته متنقلا بين عواصم البلاد التردد على مجالس العلمية إلى فأس واتصل بنا لشيخ عبد القادر الفاسي سمع عليه التفسير والحديث والتصوف وارتحل إلى رباط قام بتعمير الزاوية أجداده وصارفا معظم وقته الاعتناء بشؤونها وتدبير أمورها وإحياء معالمها إلا أن توفي في مدينة مراكش ودفن في مقبرة جنان العفو وقد اشتهر بالزهد[1].

أبوعبد الله محمد الصالح 1139هـ/1727م: نشأ عبدالله المدعو بالصالح في بيئته دينية وعلمية والطاعة و العفاف بالإضافة إلى جو العاصمة بمراكش التي بدأت تعرف حركة علمية وفكرية اقترنت بعودة الاستقرار السياسي مع الحكم العلوي، وأن الشيخ محمد الصالح بقدرهما يمثل في شخصية جانبا مهما من ثقافة عصره، كما حقق بذلك كتاب الروض الفاتح استطاع الجمع بين العلم الظاهر والباطن، علم الشريعة وعلم الحقيقة، فقد تشرب ثقافة العصر وعلومه، وتأثر به وأثر فيها وقدوته في ذلك كبار الأشياخ الحسن اليوسي محمد بن ناصر و أبو سالم العياشي تمثل شخصية المعطي منعطفا حاسما في تاريخ الزاوية، مما جعل زاوية أبي الجعد تصبح موطن إشعاع العلمي والديني فحين توافدت عليه الجموع الطلبة والمريدين، وتردد على مجالسها العلمية كبار علماء العصر الحسن بن رحال المعدني والحسن اليوسي والطيب عبد القادر شقرون، وتوفي الشيخ أبو عبد الله محمد الصالح بزاويته حيث تحول منزله إلى ضريح يضم رفاته، وترك جليل أعماله تراثا فكريا يغلب عليه الطابع الصوفي والديني حفل به كتاب الروض الفاتح.

أبو عبد الله محمد المعطي بن الصالح 1180هـ/1766م: هو أبو عبد الله محمد المعطي بن الصالح بن المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن شرقي نشأ في الزاوية وترعرع فيها وهي تعج بالعلم والعلماء فقرأ النحو والتوحيد والفقه على أبيه [2].

زاوية سيدي أحمد البدوي: هو أحمد البدوي بن عبد السلام بن الشيخ الشرقي حرج من زاوية ابي الجعد في منتصف القرن 17م واشتهرت بالأذكار حين توفي دفن بها .

---

[1]-أحمد البوكاري، المرجع السابق، ص33.

[2]- نفسه، ص33.

زاوية سيدي عبد القادر البدوي: هو أبو محمد عبد القادر بن أحمد البدوي أحفاد الشيخ الشرقي كان عابدا ناسكا توفي وعرف ضريحه بسيدي عبد القادر وبوخلخال .

زاوية سيدي محمد بن الصالح العميري: يعتبر محمد بن الصالح العمري من الفقهاء الصلحاء الذين تخرجوا من زاوية أبي الجعد تتلمذ على يد الشيخ محمد العربي وهو من جملة المريدين الذين أشار عليهم الشيخ بتأسيس الزوايا القرآنية ببلادهم، وأصبحت عامرة بطلاب العلم وحفظة القران.

زاوية سيدي الحاج التاغي: هو الفقيه الصالح التاغي أسس الزاوية القرآنية بإشارة من شيخه محمد العربي واشتهرت بتعليم القرآن وتفسيره في بلاد الشاوية [1].

الزاوية القسطالية: مؤسسها أبو عمر بن أحمد الأمين القسطلي الأموي بمراكش الدار والمنشأ قرشي الأصل يرجع نسبه إلى الخليفة عثمان، ويقال أنه من ذرية الشاعر ابن دارج القسطلي ولد سنة اثني عشرة وتسعمائة بحي قاعة بناهض، وكان والده من أعيان المدينة واحد من أتباع أبي فارس التباع ويعطي المتراجعون لمولده هالة كبيرة فقد وهب والده للتباع الأرض التي بنى عليها زاويته فدعا له أن يرزقه الله ولدا صالحا فحملت أم أبي عمرو، فقد كبر سن أبي عمرو دون أن يتعلم القراءة والكتابة، ولكن فيما بعد جمع بين القراءة والأوراد دليل على كبر سنه إلا أنه في فترة صحوة ورجوعه إلى نفسه كان يحتاج إلى علم الظاهر، ويسأل عن مسائل متصلة به فقد عكف على قراءة مختصر الشيخ خليل و ما يزيد على أربعة أعلام، وكان الدافع في ذلك كان رجلا سأله عن مسألة في الفرائض فعجز عن الإجابة قال فاحتقرت نفسي، وصغرت في عين همتي ، وانقطعت القراءة بكليتي ومن ثمة صار أعجوبة في درسه وفهمه له وكان مداوما على حضور مجالس العلماء العاملين متميزين بالصلاح، ويعتبر عبد الكريم الفلاح أهم شيوخ أبي عمرو وقد فتح أبو عمرو وزاويته بحومة حمام الذهب بحي زاوية الحضر حوالي سنة اثنين وخمسين وتسعمائة وذلك لتلاوة الأوراد ودارسة العلم و إطعام المريدين والمحتاجين[2].

1- **الأوراد:** يقوم ورده على تلاوة حزب الفلاح وحزب البحر وقراءة القرآن .

---

[1]- المراكشي، **المصدر السابق** ، ص 63.

[2]- حسن جلاب ، **المرجع السابق** ، ص 123.

2- **العلم:** من الكتب التي كانت تدرس في زاويته الشفا لعياض، وشرح محمد بن عباد علي الحكم وكان الشيخ يحللها و تعلق عليها بما فيها أهل العقول.

3- **الإطعام:** سلك أبو عمرو مسلك شيوخ الزوايا الجزولية في الإطعام وكلف ابن عبد الله المراكشي بالإشراف على اقتصاد الزاوية.

وكان يطعم كل وراد عليها بحسب مستواه ومقامه وما تعود أكله، وقد اعتمد عليا أراضيه وما تدره من حبوب وفواكه وفي شمس المعرفة إشارات إلى كثير من هذه الممتلكات التي آلت بعده في مراكش وكانت تقدم للزوار والمريدين والفقراء وتسجيل بعض المصادر موقف عبد الله الغالب منه فقد جمع العلماء والفقهاء لامتحانه بجامع الكتيبين، إلا أن أبا عمرو استصغرهم و أرسل سخان حمامة لمناصرتهم، ولم يؤد هذا إلى حدوث قطيعة بينهما فقد كان سلطان يزوره بنفسه ويدخل زاويته وكانت الزاوية القسطلية بمراكش تعج بالمريدين والزوار اعتبار مستواها العلمي، ولما كان يقدم صنوف الطعام وقد بلغ عدد المتخرجين على يد الشيخ أبو عمرو حوالي سبعة عشر ألف مريد أنشا بعضهم زوايا كبرى في المغرب نذكر مشاهير هم :

1- أبو بكر المخاطي الدلائي مؤسس الزاوية الدلائية بأمر منه .

2- أبوعبد الله محمد بن مبارك الزهري التستاوتي كان منقطعا بزاوية ابي عمرو بمراكش وعاد إلى بلاده لتأسيس زاوية أباه.

3- الحسن المداح الزهر: لازم الشيخ أزيد من ثلاثين سنة حتى صار من أخص مريديه، وعنه روي الزروالي كثيرا من أخباره في شمس القلوب [1].

4- **محمد الكامل بن أبي عمرو:** خليفة والده على الزاوية القسطلية بمراكش أحيط بالقداسة والإجلال، وكان ميلاده سنة ستين وتسع مائة للهجرة بحومة الذهب و أبدى كامل الرغبة في العلم منذ صغره إذ كان كثير التردد على خزانة جامع إبن يوسف في الحي الذي سيسكنه وكان يهتم بعلم ليهتم بمال أو ودنيا وكان ينفق أملاكه، ولا يلج المحافل والأعراس وكلفه والده بخلفه منذ صغره بعد وفاته واستمر اهتمام الكامل بالمريدين والفقراء والوافدين[2].

[1]- حسن جلاب، **المرجع السابق**، ص127-128.

[2]- محمد ظريف، **مؤسسة الزوايا بالمغرب**، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، 1992م، ص ص 113/112

الزاوية الوزانية: مؤسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف بتوجيه من المولى الرشيد وأخيه المولي إسماعيل سنة1597م، وذلك لتمثل وجهة نظر الدولة وتوحد من سيطرة زاويتي أولاد إبن ريسون بتزروت وزاويته أولاد البقال بغزوة والمؤسس العلمي يرجع نسبه إلى ملاح بن مشيش، وقام هذا بإضفاء الشرعية على مبادرته بتأسيس الزاوية، وكان الدافع السياسي أكثر وضوحا وسبب دعم السلطة لها ذاع صيتها بسرعة وخصوصا بعد مباركة السلطان الجديد لها، وفي عهد حفيده الشيخ المؤسس بلغ نفوذ الزاوية الجزائر فتفرعت إلى طيبة وزانية وهامية وزانية أما أورادها فتشتمل على ترديد عبارات الاستغفار والتسبيح والتصلية والهيللة صباحا ومساء وهي توجد في مراكش في حي القصور حي الفئات الموسرة إضافة إلى رباطين للمريدات الأول بحي ضباشي والثاني بحي حارة الصورة و اختيار هذه الأحياء له دلالته، إذا كانت الغاية من تأسيس الزاوية الوزانية منافسة باقي الزوايا التي تستقطب اهتمام السكان وتؤطرهم وتربيهم، ولكن تقلص نفوذها بعد احتلال فرنسا الجزائر في حين أراد المخزن تقليص وحجمها وتهمشها، وهدا ما دفع شريف وزان إلى طلب الحماية من دول الاوربية أي فرنسا في حين تقلص طموح شرفاء وزان لأن مركزها كان في متناول جيوش المخزن لهذا دخلت في تعاون مع السلطة المركزية فقد كانت مركز متقدما للاستعلام والعمل السياسي وظلت الزاوية الوزانية مخلصة لسلاطين الأسرة العلوية إلى غاية 1880م، ويعتبر علي أحمد السادس شيوخ الزاوية الذي قام بتوسيع نفوذ الزاوية وبروزها كقوة مؤثرة في المجالين السياسي والديني [1].

الزاوية الناصرية: تنسب إلى محمد بن ناصر الدرعي المتوفي سنة خمس وثمانين والف وزاويتها الأم بتامكروت على ضفاف وداي درعة وكان ابن ناصر ميالا إلى البساطة في تعليمه، وتقوم على الذكر وتصحيح والتوبة وتقوى الله وتلاوة الأوراد، وكانت تقوم أساسا على تردد الاستغفار والصلاة على النبي والهيللة والتسبيح وما تيسر من القرآن، وتخرج على يد ابن ناصر عدد من العلماء مثل ابي سالم العياشي وغيرهم، وانتشرت في كافة انحاء المغرب، وكان الذي أمر بفتح الزاوية الناصرية بمراكش ابنه أحمد بن محمد بن ناصر، وقد نسب إليه فتح عدة زوايا بالمغرب قيل وما مر بقرية أو بلدة وتسابق أهلها بالهدايا والترحيب والإكرام[2]، وأخذ عنه العهد والورد، ومن أهل البلاد وقد حل بمراكش

[1]- **معلمة المغرب، المرجع السابق**، ج 2 ، ص 7590.

[2]- جمال سهيل، **البعثات الديبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ /17م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، 1432/1431هـ/2011/2010م ، ص 58.

عدة مرات وتوجد زاوية ناصرية خاصة بالمريدين في حين توجد الزاوية الناصرية الكبرى بحي روض العروس، وقد أحصي قوانو ثلاثا وعشرين زاوية ناصرية بناحية مراكش أشهرها زاوية الشيخ ابي العباس الشرادي وزاوية سيدي الزوين[1].

ولها عدة فروع في تانغمات تقول مصادر أن تأسيسها كان في القرن 16م ولقد ترسخت مكانتها حين قدم إليها بعض العلماء مثل الفقيه الصوفي محمد بن مسعود المراكشي الذي عقد بمراكش بتانغمات مجلسا للحديث والتفسير، ومكث بها حتى وفاته بالطاعون الجارف نعقد بها سوق للعلم واستهوت افئدة الطلبة والعلماء، واشتهرت الزاوية كمركز العلمي في المنطقة وذلك بتوافد عديد من العلماء فقد تخرج بمراكش على أيديها أشهر العلماء مثل أحمد بن سليمان الرسموكي[2].

الزاوية الدرقاوية: كانت من أكثر الزوايا انتشارا في مراكش تميزت باستقلالها على السلطة، ورفضها وانتقادها للشرك والشعوذة حيث بلغ الأمر بمؤسسها محمد العربي الدرقاوي أمر أحد تلامذته بالاكتفاء بذكر لا إله إلا الله جهرا في التشهد ومحمد رسول الله سيرا في حين أصبحت هذه الزاوية قوة سياسية في القرن التاسع عشر للميلاد، انتشرت في مختلف مناطق المغرب واكتسحت كثيرا من الزوايا التابعة لها الناصرية والعمرية نسبة إلى عمر بن البخاري، والفتحية بثلاثة فحول في حي سيدي عبد العزيز التباع ومؤسسها فتح الله بن أبي بكر بناني الرباطي، البدوية بحي سيدي بولعبادة قرب بن صالح أسسها محمد بن علي الدرعي الفركلي البدوي أحد مقدمي طائفة محمد العربي ومحمد العربي ومحمد بن ابراهيم المسكوري البدوي[3].

- **زاوية باب ايلان:** مؤسسها البشير بن محمد الدرقاوي .
- **زاوية القصور:** مؤسسيها محمد بن ادريس .
- **روض زيتون القديم:** المهدي بن محمد بن عبد الرحمان الدرقاوي .
- **زاوية ازبزط:** احمد بن عبد الله الدرقاوي .
- زاوية باب دكالة علي السويسي .
- **زاوية درب الحمام:** بالقصبة .

[1]- نفيسة الذهبي، **الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م، ص66.

[2]- نفسه ، ص 68.

[3]- حسن جلاب، **المرجع السابق**، ص132.

- **زاوية درب بوعنان:** وتشمل على الاستغفار (مائة مرة) اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة ولا اله ألا الله (الف مرة) والصلاة على النبي الاسم الأعظم الله بدون تحديد بعد الصبح والمغرب، وأوراد العامة الاستغفار(مائة مرة) صلاة على النبي (مائة مرة) مع الهيللة مائة مرة والصلاة المشيشية مختومة بأدعية [1].

الزاوية التيجانية : طريقة متميزة عن باقي الزوايا يعود تأسيسها إلى أبو العباس التجاني يرجع نسبه إلى النفس الزكية ولد بعين ماضي بالجزائر سنة خمس ومائة وألف للهجرة درس بها وبفاس وتجول في كثير من بلدان المشرق والمغرب والصحراء ، ودرس على يد علماء وشيوخ منهم محمد بن عبد الرحمان الازهري الذي أخذ عليه عهد الطريقة الخلوتية خرج من الجزائر بعد اصطدامه مع الأتراك الجزائر تصل بالمولى سليمان فأذن له بفتح زاوية بفاس، وأمده بمساعدة مالية لبنائها سنة خمس عشرة ومائتين وألف، وهدف من ذلك منافسة الطريقة الدرقاوية لكن التيجانين فشلوا في مواكبة انتصارات الدرقاويين والتفاف الناس حولهم جعل السلطان بتحمس للمبادئ الوهابية يصدر رسالته شهيرة بتحريم الشرك والشعوذة وزيارة المقابر، تلتقي مع التيجانية في تحريم زيارة مقابر والشطح وافتراس الحيوانات وتنص على الاستغفار والصلاة والهيللة كل واحدة مائة مرة، والوظيفة التجانية انتشرت نفود هذه نظرا لمساندة السلطان لها لمواجهة نفوذ زوايا امهاوش والدرقاوية، وأن الزاوية التيجانية الأم بمراكش من تأسيس الأديب الوزير المؤرخ محمد بن أحمد أكنوس على عهد مولاي عبدالرحمان ومقرها بحي المواسين و دخول أكنوس إلى مراكش تنتشر باقي الزوايا في زاوية القصور وحي أبي العباس السبتي وحي باب احمد والقصبة وباب ايلان [2].

ج/ الأوقاف :

خصص السعديون للمساجد الجامعة التي شيدوها عدة أوقاف للصرف على الأنشطة الدينية والتعليمية وللحفاظ على عمارتها، وهناك وثيقة عن الأوقاف عن مسجد باب دكالة، كتب فيها

[1]-حسن جلاب، **المرجع السابق**، ص134.

[2]- نفسه، ص135.

البسملة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الإشارة إلى الأسرة السعدية ونسبها والدعاء لسلاطينها [1].

ثم تعددت الأملاك التي أوقفت لهذا الجامع تقربا إلى الله وهي" جميع السبعين حانوتا غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكن المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية دون البقعة المتصلة بقلعتها وجميع بيت الأرحاء الجديدة المخترعة لها على وادي تسلطانت القريب من أرحاء أولاد دار أمين محمد بن قاسم القسطلي وأولاد التاجر عبد الله التنجارفي، المشتمل على أربع مدارات مع جميع داره المبنية له وجميع العين الكبرى التي تمتلكها من ورثة أحمد بن ربوح الكائنة بالمخالص خارج باب تاغزوت مع جميع أرضها وجنانها ومائها ما عدا الحظ الواجب لأولاد الولي الصالح السيد أبي عمر القسطالي، وتختم الوثيقة بإشهاد الواقفة على نفسها بأنها وقفت جميع ما ورد بالوثيقة للصرف على مصالح الجامع من مرتب أئمته و فقهائه وقرائه ومؤذنيه القييمين بسائر وظائفه [2].

المدارس:

تحتوي مدينة مراكش على ست مدارس المدرسة اليوسفية وتعرف قديما بالمدرسة المرينية وهذه المدرسة عجيبة البنيان، بديعة الإتقان، وقد أنشأها السلطان أبو الحسن المريني، وقد قام السلطان أبي الحسن بالوقوف على هذه المدرسة وهذا لعظم همته و محبته للعلم وأهله، ومنها المدرسة العباسية، و مدرسة حومة باب دوكالة ومدرسة القصبة ومدرسة المواسين ومدرسة حومة سيدي محمد بن صالح [3].

تعد المدرسة العظمى بمراكش أثر معماري خالد وهي تقع بجوار جامع ابن يوسف ذكرها ابن مرزوق : " فمدرسة سبتة غاية، و أعجب منها مدرسة مراكش "، و مازالت هذه المدرسة تعد من الآثار المهمة في مراكش، فقد قال ابن بطوطة عند مروره بمراكش:" وبمراكش المدرسة العجيبة التي

[1]- أحمد بن محمد المقري، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، ط2، المطبعة الملكي، الرباط، 1988، ص ص 63-65.

[2]- محمد السيد محمد أبو رحاب، **العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف** ، دراسة آثارية معمارية ، ط1 ، دار القاهرة ، مصر ، 2008 م، ص ص 252-253 .

[3]- المكناسي ثم المراكشي، **المصدر السابق**، ص22.

تميزت بحسن الوضع، وإتقان الصنعة "، حيث تحتوي على مائة غرفة لسكنى الطلبة، وقد كانت تعرف بالمرينية ثم باليوسفية وقد أعاد تجديدها المولى عبد الله [1].

يقول مارمول:" توجد قرب هذا الجامع مدرسة عتيقة، تدعى أيضا مطرقة العلوم (كذا) بناها أيضا عبد المومن كان فيها قديما عدد كبير من الطلبة، مع أساتذة كثيرين يلقنون الفلك والتنجيم مع فنون أخرى و علوم طبيعية، كما كانت تدرس بها العربية والشريعة الإسلامية سواء منها ما يتعلق بالمعاملات أو العبادات، كانو يعيشون على نفقة المدرسة الغنية جدا "[2].

وأفضل الممتلكات كانت لها و لكنها أصبحت كلا شيء، خاصة منذ تأسيس مدرسة أخرى أكثر جمالا في أسفل المدينة، وتوجد في هذه المدرسة العتيقة بالقصبة قاعة كبيرة مزخرفة كلها بالفسيفساء، وصحن كبير في المقدمة مبلط بمربعات كبيرة من المرمر في وسطه حوض قصير جدا حسب طراز البلاد، مصنوع من حجر واحد كبير لا مثيل له في بلاد البربر بأسرها، وكل الفضاء الممتد من الجامع الرئيسي والسور من جهة الشرق حتى القصر العتيق حيث كان يسكن الملوك القدامى هو اليوم البستان الملكي الكثير الأشجار المثمرة الظليلة، وفي الجانب الآخر من جهة الغرب يوجد اثنا عشر مخزنا لخزن الحبوب كلها مقببة وأبوابها متجهة شطر الجنوب، وبالقرب من الجامع الكبير مدرسة كبيرة تحتوي على أربعمائة حجرة للطلبة بصحونها وممراتها، معزول بعضها عن بعض وكلها بمربعات صغيرة كأنها مرصعة مع قاعات كبيرة للدروس وأروقة كبيرة للتفسح فيها ، ينفق على الطلبة والأساتذة من موارد المدرسة التي تأتي من أفضل أملاك المدينة [3].

تقع المدرسة الغالبية (ابن يوسف) بمراكش إلى جوار جامع بن يوسف والتي سبق ذكرها ، فمن الناحية المعمارية يلاحظ أن تخطيطها عبارة عن صحن أوسط مكشوف بالجهة الشرقية منه لبيت الصلاة، و رواق بكل الجهتين الجنوبية والشمالية، أما مساكن الطلاب فتشغل الضلعين الجنوبي والشمالي للمدرسة منفصلة تماما عن الصحن والرواقين المحيطين به، ووزعت في مجموعات منفصلة عن بعضها كل مجموعة مكونة من ست أو سبع حجرات حول صحن أوسط مكشوف. أنظر الملحق ر(13)ص120.

[1]- مزاحم علاوي الشاهري، **المرجع السابق**، ص 221.

[2]- مارمول، ج2، **المصدر السابق** ، ص49.

[3]- نفسه، ص54.

وأما مدرسة جامع باب دكالة فقد شيدتها مسعودة بنت أحمد الوزكيتي الورززاتي زوجة السلطان محمد المهدي ووالدة السلطان أحمد المنصور تشغل هذه المدرسة مساحة من الأرض مستطيلة الشكل ، وكان تخطيطها الأصلي عبارة عن صحن أوسط مغطى محاط من الجهات الشرقية و الغربية بحجرات لسكنى الطلاب، غير أن هذا التخطيط تغير حاليا نظرا للتجديدات التي تعرضت لها المدرسة.

بالإضافة إلى هاتين المدرستين مدرسة جامع الأشراف (المواسين) بمراكش شيدها السلطان عبدالله بن محمد المهدي الملقب بالغالب بالله ، تقع هذه المدرسة إلى الغرب من جامع المواسين على بعد 100م تقريبا، وهي محاطة بالمساكن والحوانيت التجارية من الجهات الأربع، ولم تعد هذه المدرسة تقوم بوظيفتها حاليا حيث تحولت إلى سكن خاص لعدة أسر، وهي مستطيلة الشكل تخطيطها الأصلي كان عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة تتقدم مساكن الطلاب، وقاعة مستطيلة يمكن أنها كانت تستخدم كمصلى للصلوات الخمس أو الدرس أو كانت سكنا خاصا بأحد شيوخ المدرسة[1].

ومدرسة جامع أبي العباس السبتي بمراكش شيدها السلطان عبد العزيز بن أحمد المنصور ، تقع هذه المدرسة إلى الجنوب من جامع أبي العباس السبتي وهي محاطة بالمساكن والحوانيت التجارية ولا يظهر منها سوى المدخل الرئيسي لهذه المدرسة، تشغل مساحة مستطيلة الشكل وتخطيطها عبارة أوسط مكشوف به أربعة أروقة تتقدم مساكن الطلاب الموزعة على الجوانب الأربعة للصحن ويسكن حاليا بهذه المدرسة الطلبة المكفوفون [2].

[1]- محمد السيد محمد أبو رحاب، **المرجع السابق**، ص 313.

[2]- نفسه، ص ص 337-341.

المكتبات:

ارتبط تأسيس الخزانات بالأماكن المقدسة ونقصد بهذه الأماكن مثل المساجد، وجدت خزانات ملحقة بالمساجد، وعبارة خزانة الكتب تعني المكان أو المستودع الذي تحفظ فيه الكتب وكذلك تنطبق على كلمة " بيت" و كلمة " دار"[1].

نذكر مكتبة المؤرخ محمد بن أحمد السباعي المراكشي الملقب بابن طراوة وتتميز هاته المكتبة بمجموعة نسخها المأخوذة عن الأصول التي لم يتوقف مالكها أبدا عن إثرائها وقد جمع العديد من النسخ الأصلية إضافة إلى عدد من المخطوطات التي نسخها الشيوخ وكبار المدرسين أو المكتوبة في محضره، فالعديد من المؤلفات تحمل تصحيحاته وشروحاته، إلا أن الخزانة الخاصة الشهيرة جدا كانت هي الخزانة التي جمعها العلامة وقاضي مراكش الكبير ابن صقر الذي حمل معه خمسة أحمال الكتب ولقد كان ولوعا وعارفا بالكتب وجمع خزانة كتب في مراكش لم يعرف لها مثيل[2].

خزانة جامع الأشراف: تقع خلف جدار القبلة من الناحية الشمالية الشرقية، وكان يتوصل إليها من خلال بابين أحدهما سد حاليا بالبناء، أما الآخر فيوجد بالطرف الشمالي الشرقي لجدار القبلة وتشغل خزانة الكتب مساحة مربعة الشكل فرشت أرضيتها بالزليج المتعدد الألوان وغطيت بقبة خشبية، ويشتمل كل من الجدار الشمالي والشرقي والجنوبي لهذه الخزانة على ثلاث دخلات مستطيلة متشابهة تماما حيث يشتمل كل منها على ثلاثة رفوف لوضع الكتب و يحيط بكل دخلة منها شريط من الجص تزينه كتابات مكررة بالخط الثلث تقوم على مهاد من زخارف نباتية نصها " العافية الباقية"، ويلاحظ تساقط أجزاء من هذا بفعل الرطوبة والإهمال وحاليا تستخدم لحفظ الحصر التالفة ومخلفات الفرش ويشتمل الجزء العلوي لكل من الجدارين الشرقي والجنوبي لخزانة الكتب على نوافذ مستطيلة غشيت كل منها بستارة من الجص المعشق بالزجاج الملون بتشكيلات هندسية [3].

---

[1]– أحمد شوق بنين، **تاريخ خزائن الكتب بالمغرب**، تر: مصطفى طوبي، ط1، الخزانة الحسينية، مراكش، 2003م، ص 28 .

[2]–نفسه، ص62.

[3]– محمد السيد محمد أبو رحاب، **المرجع السابق**، ص 285 .

وتقع خزانة جامع أبي العباس السبتي خلف الطرف الشمالي لجدار القبلة، ويتوصل إليها من فتحة باب بالطرف الشمالي للقبلة، وقد أفادت الروايات التاريخية بأن السلطان أبو فارس بعد بنائه للجامع المذكور لضريح أبي العباس السبتي شحن الخزانة بنفائس الدفاتر وتحف الكتب وهي تشغل مساحة مستطيلة الشكل جدرانها خالية من الزخرفة ويغطيها قبو نصف برميلي [1].

[1]- محمد السيد أبو رحاب، **المرجع السابق**، ص 302.

الفصل الثالث : دور

المراكزالثقافية

في مدينتي فاس ومراكش

المبحث الأول : الدور الإجتماعي

المبحث الثاني : الدور الثقافي

المبحث الثالث : الدور الديني

المبحث الرابع : التواصل الثقافي بين

هاته المراكز

والجزائر

المبحث الأول: الدور الاجتماعي

يظهر الدور الاجتماعي لهذه المراكز الثقافية في فاس ومراكش في نشر التعليم الذي يبدأ ما بين 10و14م، وكان التعليم مقتصر على إمكانيات الطالب وتشجعيه للعلم، ولقد لعبت الجامعة الملحقة بمسجد القرويين بفاس دور كبير في نشر المعرفة، فحين صارت في عهد الحسن الأول تعيين الأساتذة، وكانت الدروس بهافي فترة الصباحية و المسائية، كان يدرس في جامع القرويين 17 أستاذ كرسي و لكل أستاذ مساعدين، فيحين قام جامع القرويين بإعداد نخبة مغربية مشاركة في الحياة السياسية المخزنية، وقامت الزوايا بإعداد الطلبة لحياة تعبدية فردية، وكان جامع القرويين يهتم بتعليم الحديث الأمر الذي يجعله يقف وراء البعثات العلمية إلى أوروبا [1].

ولقد اشتهرت الزوايا في المغرب بصفة عامة بما يلي:

1- **إطعام الطعام**: للوافدين وعابري السبيل والمقيمين ويكون اطعام الطعام وفق ترتيب اجتماعي يراعي مكانة وأهمية الضيف فكان الإشراف والعلماء والقواد وأعيان القوم فكان يطعمهم ما يناسبهم، وأما العامة فطعام الدار كيفما يسره الله من القمح والشعير ويزيد من السوق الخبز والتمر، وكان الشيوخ يمولن الزوايا بالسمن والزيت والعسل، ويقومون بتوفير علف دوابهم، وتبرز أهمية الزوايا في النشاط الاجتماعي عندما حل بالناس الوباء والمجاعة والقحط، وتقول المصادر عن مساعدات الزوايا الهائلة لجموع الجائعين، في حين تقوم بالاستعانة ببعض النساء بتحضير الطعام في حين تقوم باتخاذها عدة مطاحن لطحين الحبوب والشراء ما يحتاجه الخبازين [2].

2- **الإيواء**: للزوايا الرئيسية بيوت للوافدين والمقيمين من فقهاء وزوار وطلبة وغيرهم، وقد عرفت بدورها توسعا تبعا لتوسيع نشاط الزوايا بتوسيع أماكن إقامة الطلبة والهيئة العلمية العامة في مدرسة الزوايا، وخصص دورا مهيأة لعلية القوم من علماء وموظفين، في حين يقال أن محمد المعطي لها دار معهد لأهل فاس، في حين حرض أشياخ الزوايا بتوفير كل شروط الاستقرار والإقامة الملائمة حتى ليشعر ضيوفهم من أهل الحضر بكثير من التغير في أسلوب حياتهم الاجتماعية المتطور بالنسبة

[1]- عبد العزيز بن عبد الله، ج2 ، **المرجع السابق** ، ، ص86.

[2]- أحمد بوكاري، **المرجع السابق** ،ص15.

لوسط الزاوية في القرى وكانت بعض المساكن التي بنيت جديدة إلى جوار مسجد المولى سليمان مازالت معالمها إلى الآن [1].

3- **التمريض والعلاج:** كانت معالجة النفس والبدن إلا أن هناك بعض الحالات العصبية والنفسية المستعصية إلى يومنا هذا نجد حل في رحاب الأضرحة، وكانت بعض الزوايا لها معرفة و دراية بالطب النظري والعلمي، وذلك استعمال العقاقير الطبية والتمائم، وذلك بدافع أذى والجن وعين البشر الحاسدة وحالات الشلل، وكانت الزوايا تشكل في الأوقات العصبية مثل: الفتن والحروب والوباء ما يشبه المارستان تجمع بين العمل الخيري، والعلاج يقال إن المنصور الموحدي أول من قام بإنشاء بيمارستان في شمال إفريقيا الإيواء المرضي من المحتاجين والغرباء وجهز طاقم من الأطباء وقام الشيخ المعطي إذا خرج وجد فيها عريانا كساه وجائعا أطعمه وسقاه ومكشوطا أعطاه أحد أثوابه و إذا وجد مجروحا، أمر أصحابه بإنزاله في مكان يليق به وأمر بدوائه وغطائه ومأكله ومشربه حتى يبرأ و إذا مات كفنه ودفنه [2].

4- **طلب الغيث:** إن الاعتقاد في الشيوخ قريبين من السماء يجعل طلبهم ودعائهم مكانة و أهمية دون سائر الناس ولجوء إليهم الغيث عند الحفاف والقحط.

5- **أداء الديون إلى أصحابها:** بتقديم تسهيلات المالية وبشكل سلف.

6- **التوسط بين القبائل الصلح والتحكيم:** كانت تقوم بدور الحكم والقاضي للفصل في مشاكل القبائل والصلح بين الأفراد لحل نزاعات حول بعض العقارات أو مشاكل تتعلق بالزواج والطلاق والميراث والقبض على المجرمين والمذنبين وتسليمهم إلى سلطات المخزنية القريبة من الزوايا لضمان الاستقرار الأفراد والجماعات [3].

كانت الزاوية تقوم بدور تعليمي تسمح بتعليم مئات وآلاف الطلبة يشتمل برنامج التعليم فيها على مجموعة من المصادر الأساسية حفظ القران تبدأ هذه المؤسسة التربوية تصبح إمكانية مواصلة التعليم متعلق بالظروف الخاصة بالتلاميذ من قدرة ذهنية واستعداد والإمكانيات الأسرية المادية وتعطشها للعلم، وكانت تلعب دورا هاما في تحديد مجالات الرعي والانتاج وتوزيع المياه، وأما

[1]- أحمد البوكاري، **المرجع السابق**، ص 16.

[2]- نفسه، ص ص 18- 23.

[3]- محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص ص 159-164 .

المدارس فكانت تساهم في تخريج فئات فئة موجهة لتكمله بأوروبا وفئة ثانية تتخرج الاشتغال كأطر متنوعة في الجهاز المخزني أو الإدارة المحلية ويحمل المتخرج لقب بمهندس أو مؤقت إذا درس التوقيت وهو علم الفلك [1].

فحين كانت مدرسة مولاي عبد الله بفاس الجديد تستقبل أبناء الموظفين، وكانت المدارس تعد الطلبة لإكمال دراستهم في الخارج، وقامت في عهد الحسن الأول بإرسال البعثات العلمية المغربية إلى أوروبا وازدهرت كثيرا لم تنقطع، وكان أولها 1874م بتكوين خمسة عشر طالبا توجهوا إلى انكلترا ايطاليا واسبانيا وفرنسا، وكانت الجامعة ملحقة بجامع القرويين تقوم بتعين الأساتذة ومراقبة نشاطهم، وكان دورهم يعينون في مناصب عالية وشرفية بإسناد قضايا محلة لهم وتوليتهم مناصب الخطابة والإرشاد والتذكير في الجمع والأعياد [2] .

للأوقاف دور كبير في المجتمع فلقد ساهمت في الجانب الصحي من خلال إقامة المستشفيات المتنوعة ورعاية المرضى داخل المستشفى وخارجه كما ساهمت في العملية الإنتاجية، وفي تمويل التنمية وتوفير فرص العمل وإقامة مرافق اقتصادية فمثلا أوقاف القرويين كانت متفوقة جدا على كل الأوقاف الأخرى المخصصة لجامع الأندلس وغيره، ولقد كان الوقف في المجتمع الفاسي يعمل على ميادين مختلفة مثل: وقف تزويج الفقيرات والمكفوفين وتوزيع الخبز المجاني والثياب، ووقف النساء الغاضبات و إيواء الغرباء و الختان والمطاعم الشعبية، وحماية الشرائح الاجتماعية الفقيرة والمحرومة [3].

المبحث الثاني: الدور الثقافي

ظلت مدينتي فاس ومراكش يواصلان تألقها الثقافي والحضاري، والذي تجلى في بناء العديد من المساجد والمدارس بكثرة وازدهار وتنوع العلوم وعلى رأسها العلوم الدينية والتي تشمل القرآن الكريم والحديث والفقه والتصوف والعلوم اللسانية من نحو وبلاغة وصرف ونثر وعلوم اجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والعقلية كالحساب و الفلك والطب والصيدلة [4].

[1]- محمد العربي معريش، **المرجع السابق**، ص 164.

[2]- نفسه، ص 164.

[3]- أمحمد بوذية، **المرجع السابق**، ص 153.

[4]- ابن خلدون، ج1، **المصدر السابق**، ص120.

ساهمت المراكز الثقافية من مساجد ومدارس وزوايا في تنشيط الحركة العلمية و احتضان العديد من العلماء الذين ساهموا في تخريج العديد من طلبة العلم من خارج البلاد[1].

زاد اهتمام السلاطين بإنشاء المؤسسات التعليمية في هاتين المدينتين وهذا ما جعلهما من أكبر الحواضر المغربية، بالإضافة إلى إنشاء المجالس العلمية والتي تضم كبار العلماء ، وهذا من أجل نشر العلم وتطوير طرق التدريس حتى انها كانت تعتمد على الحفظ عن ظهر قلب دون مناقشة ، تدريس الفقه الذي كان في المقام الأول ورغبة علماء الأقطار الأخرى في التحصيل والاستزادة العلمية و لقاء الشيوخ واكتساب علو السند والحصول على الإجازات العلمية والعديد من المؤلفات النادرة و المساهمة في عملية الأخذ و العطاء و نشر جلسات التدريس[2].

تعتبر الأوقاف عنصر رئيسي في النظام التعليمي بمراحله المختلفة له دور كبير في تمويل الكتاتيب والمعاهد وإنشاء المكتبات وتوفير الكتب ونشر التعليم و الاهتمام بالطلبة وكسوتهم، كما كان لكل مسجد من المساجد ناظر خاص على أوقافه.

كثرة الرحلات اتجاه المدينتين فكانت هناك رحلات علمية إدارية اختيارية كان هدفها التحصيل العلمي مثل رحلة العالم التلمساني وهناك رحلات سياسية إجبارية كرحلة الابيلي الذي هرب باتجاه فاس خوفا من تسخير علمه لأغراض سياسية، وهناك رحلات دائمة كرحلة أبي عبد الله المقري التلمساني، وهناك رحلات مؤقتة اكتفى أصحابها بالتحصيل [3].

من نتائج الرحلات تكوين جيل من فضائل العلماء الذين ساهموا في التزود بالعلوم و المعارف وتطوير الحركة العلمية بالحاضرتين استطاعت المراكز الثقافية في بلدان العالم الإسلامي وتمتين العلاقات بينهم والاحتكاك والتقارب وغرس ثقافة الانفتاح على الآخر من خلال إتاحة فرص الحوار والمناظرة والبحث [4].

---

[1]- بوكريدمي نعيمة، ، **دوافع رحلة علماء تلمسان إلى فاس خلال القرن الثامن الهجري /14م** ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، قسم العلوم الإجتماعية ، ع 16، جامعة شلف ، 2016 ، ص33.

[2]- نفسه، ص 33.

[3]- فاقة بكوش، **أبو عبد الله المقري (ت 753) ورحلته العلمية بين تلمسان و حواضر الغرب الإسلامي** ، مذكرة ماجستير في التاريخ السياسي و الثقافي لدول المغرب الإسلامي ،جامعة تلمسان ،2012، ص30.

[4]- نفسه، ص31.

كانت المدارس تقوم بتلقين علم اللاهوت مع سائر الفنون والعلوم بالإضافة إلى النحو والبلاغة والفلسفة والرسم والحساب[1]

كانت الزوايا تقوم بدور تعليمي يشمل تدريس القرآن الكريم والحديث، وقد درس فيها عدد من الكتب من بينها " قوت القلوب في معاملة المحبوب و وصف الطريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب بن محمد بن علي بن عطية الحارثي المكتي وكتاب النصائح للمحاسبي وكتاب الإحياء للغزالي ولم تكن الزوايا تهتم بتعليم الفقه فقط، بل كذلك النحو والفلك والحساب واهتمت بالتهذيب و الفرائض وقد أصبحت الزوايا بديلا عن المدارس في خدمة العلم ونتج عن ذلك تنوع في علوم أربابها و تكوينهم الفكري [2] .

المبحث الثالث: الدور الديني

اشتهرت مدينتي فاس ومراكش بمراكزهما الثقافية من مساجد ومدراس و زوايا ، والتي لعبت دورا هاما في الجانب الديني، فمدينة فاس انفردت بطابعها الفقهي واعتبارها موطنا للعلوم الشرعية و اللسانية ، ومركز للفقه المالكي وقد اكتسبت فاس هذه المركزية ليس بالمغرب فحسب ولكن في العالم الإسلامي كله ولقد غدت قبلة للفقهاء الوافدين إليها بأفواج كبيرة ولا سيما من القيروان والأندلس[3].

اشتهرت فاس بوجود جامع القرويين الذي يعتبر من أهم المساجد الجامعة في بلاد المغرب الإسلامي وأكثرها شهرة باعتباره جامعة إسلامية عريقة يمكن مقارنتها بجامع الأزهر في القاهرة، وكذلك اهتمام السلاطين بالفقهاء و تدوين الكتب الفقهية، زيادة على هذا إقامة المدارس تشجيعا للعلم ولأهله و ترسيخا للمذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي، وجمع المغاربة حوله لما عرف عنه من سلامة وصدق مقارنة بغيره من المذاهب [4].

[1]- مارمول، ج2، **المصدر السابق**، ص147.

[2]– مزاحم علاوي الشاهري، **المرجع السابق**، ص190.

[3]– عباس الجراري، **فاس في تاريخ المغرب**، د.د.ن ، د.ب .ن ، د .س. ن، ص 174

[4]– حسن الشاهدي، **أدب الرحلة في العصر المريني**، منشورات عكاظ، الرباط، 1990، ص ص 23-32 .

ولقد شهدت مجيء العديد من الفقهاء التلمسانيين في طلب العلم والتدريس وذلك لكثرة التأليف في دراسة الفقه المالكي و العناية الفائقة بعلوم الدين، خاصة علم التصوف ونشرها بين مختلف الشرائح الشعبية سواء بالبوادي أو الحواضر[1].

كما أن الزوايا التي كانت تشكل مأوى الطلبة والفقراء من المتصوفة وكثرة الاضرحة كان لها دور كبير في شد التلمسانيين رحالهم إلى فاس للأخذ من شيوخها أو زيارة أضرحتها والانضمام إلى زاوية خاصة أو التبرك بلقائهم والفوز بدعواتهم الصالحة والتعبد معهم والاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وطلب الدعاء منهم[2]، يعد أهل فاس أكثر أهل المغرب فصاحة ويدعونها المشايخ ببغداد المغرب [3].

ساهمت المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس في تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وعلوم الشريعة واللغة وفروع العلوم الدينية مثل تفسير العقائد وتفسير كتاب الله تعالى، وشرح الحديث وأصول الفقه و البيان و التوحيد وحفظ المتون[4].

ساهم وجود الفقهاء والعلماء في نشر علوم الدين في أقطار المغرب والعالم الإسلامي، وكانوا يعتبرون كمرشدين روحيين، ويعملون على نشر المذهب المالكي، ويعملون على الإفتاء وكان يأخذ السلطان برأيهم[5].

يذكر في كتاب بيوتات فاس الكبرى أن يوسف بن تاشفين استفتى حين أراد الجواز إلى الأندلس لإصلاح أمرها ببيت بني ملجم [6].

سادت العلوم الدينية وكثرت التآليف في الفقه والتفسير، وقد ساهمت الأوقاف في بناء المساجد والزوايا والمدارس وإصلاحها وإقامة الخزانات لاحتواء الكتب والإضافة إلى الاهتمام بالطلبة والمدرسين، كما أن المدرسة لم تكن مكان لتعليم العلوم والفنون بل كانت مكان لتعليم علوم الدين ومكان للصلاة ونشر المذهب المالكي حيث نذكر مدرسة الصهريج التي كان القصد من بنائها البحث على

---

[1]- محمود بوعياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع /15م** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982م، ص51.

[2]- نعيمة بوكريديمي، **المرجع السابق**، ص34 .

[3]- ابي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، **المصدر السابق** ، ص 257.

[4]- مصطفى الشابي، **المرجع السابق** ، ص98.

[5]- المكناسي و المراكشي، **المصدر السابق** ، ص 128.

[6]- الصديق بن العربي، **المرجع السابق** ، ص209.

تقوية المتتبعين للمذهب المالكي وجلب أكبر عدد ممكن ،وقد درس القاضي إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي التازي كتابي التهذيب و الرسالة [1].

أغلب مدارس فاس ومراكش كانت تابعة للمساجد أو بالقرب منها ، وكانت مخصصة لتدريس علوم الدين و في أولها الفقه [2].

ويلقن فيها علم اللاهوت وأفقه البلاد كلها يتلقى منه الأمر جميع الفقهاء ويحل مشاكلهم ويسمونه المفتي، بالإضافة إلى دراسة العقائد الأخرى[3].

وقد حوت بعض الخزانات نفائس الكتب مجلد سمي بالتلخيص في تفسير القرآن العزيز[4].

المبحث الرابع : التواصل الثقافي بين هاته المراكز والجزائر

يعتبر التواصل الثقافي أهم مظهر من مظاهر وحدة المغرب العربي ،إذ استطاع المغرب أن يكون له شخصية ثقافية طامحة إلى الإبداع والإنتاج وبذلك سعى السعديون إلى توحيد الغرب الإسلامي، انطلاقا من كونهم أحق بالخلافة من غيرهم لشرف نسبهم، أما من حيث التواصل الثقافي فنذكر هجرة عدد من العلماء الجزائريين أواخر القرن التاسع الهجري-الخامس عشر ميلادي-من بينهم: عبد الله العنابي :فقيه أديب، مشارك في مختلف العلوم أحمد بن يحي الونشريسي: الفقيه المالكي، انتقل من تلمسان إلى فاس أحمد شقرون بن أبي جمعة الوهراني: فقيه مشارك، اندمج كالونشريسي في صفوف علماء فاس، وكان له تلاميذ كثيرون [5].

تمثل التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب في عدة جوانب:

أولها: المؤثرات التي تشبع بها الموروث الثقافي المغربي والجزائري ومنها التأثير الأوروبي والأندلسي والسوداني والعثماني الثاني المراكز الثقافية التي احتضنت الحلقات العلمية وكان لها إشعاع محلي وإقليمي مثل فاس ومراكش والجزائر وتلمسان الحياة التعليمية والتي تناولت مواد التدريس (التفسير والقراءات والحديث وعلم الكلام والعقائد والفقه والنحو وعلم التاريخ والجغرافيا وغيرها) مع إشارة إلى

[1]- الوزان، **المصدر السابق** ، ص 233.

[2]- ابن القاضي، **المصدر السابق** ، ص 123.

[3]- مارمول، ج 2، **المصدر السابق** ، ص147.

[4]- عبد الرحمن بن زيدان، **المصدر السابق** ، ص14.

[5]- محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب**،ط1، افريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،1991،ص78.

مركزية نظام الأوقاف كوسيلة للتمويل والدعم ويصل الحديث عما هو ثقافي أفقه بإبراز دور الكراسي العلمية في تشجيع العلماء والمدرسين على العطاء والإنتاج العلمي بحكم أنها كانت تسند لكبار الشخصيات العلمية من جهة ومنح الإجازة كدرجة علمية وتأكيد على تفوق صاحبها من جهة أخرى مع ذكر نماذج لتبادل منح الإجازات العلمية بين البلدين[1].

الشروط العلمية المتوفرة في المغرب والجزائر بيئة مناسبة لمد قنوات التواصل الثقافي، ولا يسعنا في هذا الصدد إلا أن نقدم مجموعة من أمثلة هذا التلاقي كمساهمة من العلماء المغاربة والجزائريين في تنشيط الحركة الفكرية مثل" الحسن الوزان" سفير السعديين إلى سليم الأول الذي التقى في طريقه بعدد من علماء الجزائر و فقهائها والفقيه المغربي ''محمد بن عبد الجبار الفجيجي'' الذي درس في فأس واستكمل رحلته العلمية في تلمسان على يد شيوخها من الجزائر انتقل الفقيه ''عبد الله بن إبراهيم الخياط من وهران إلى فاس لدراسة العلوم اللغوية والشريعة وسافر الفقيه ''علي بن عيسى الراشدي بدوره من تلمسان إلى فاس وحضر مجالس كبار علمائها لم يقتصر التواصل الثقافي الذي عرفه الجاران على الأشخاص فحسب بل كان للمؤسسات التعليمية دور لا يستهان به في التواصل الفكري كالمساجد والمدارس والزوايا التي كانت تتخذ فضاء لعقد المجالس العلمية وإقامة المناظرات.

من بين هذه المؤسسات التي كانت منارة ومحاجا للعلماء والفقهاء نجد جامع القرويين في المغرب والجامع الكبير في تلمسان، ويبقى أهم شيء يعتمد عليه التواصل الثقافي بين البلدين هو حجم المشاركة العلمية أو بصيغة أخرى حجم الإنتاج العلمي في البلدين، يكشف غزارة التأليف وتنوع الموضوعات ما بين علوم القرآن والحديث إلى الفقه والمنطق وصولا إلى الموسيقى وغيرها، إن أبرز ما يكمل صورة هذه الخصوبة العلمية هو تنوع القضايا الفكرية التي طرحت على علماء البلدين فاجتهدوا في ذلك في حين يعود الاتصال الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى بعيد إذا كان العلماء المغاربة والجزائريون يشكلون مدرسة واحدة وذلك في قيام مثقفي البلدين بتبادل الزيارات العلمية فهناك من سافر من أجل التحصيل العلمي وأخذ الاجازات من المشايخ[2]، وهناك من فضل الاستقرار ممن كان بإمكانه تقلد المناصب في المجال التدريس والقضاء والإفتاء والخطابة وكان علماء

[1]- أرزقي شويتام، **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية في الفترة العثمانية** ، مجلة الدراسات التاريخية ، ع 13 ، جامعة الجزائر ، الجزائر 2011، ص79 .

[2]- نفسه، ص91

تلمسان الأوائل الذين ربطتهم صلات بالمغرب الأقصى ومؤسساته العلمية بحكم قرب المسافة بينهما ولكن لم يكن مقصورا على علماء الغرب الجزائري بل شمل معظم القطر الجزائري، وقد تقلدوا العلماء الجزائر عدة مناصب في جامع القرويين بفاس، ومختلف الحواضر المغربية مثل مراكش وهناك من نال مكانة مميزة عند السلاطين المغرب كما حظي الأديب الجزائري سعيد المنداسي المتوفى 1677م مكانة خاصة لدى سلطان المغرب مولاي محمد الشريف الذي منحه خمسة عشين رطلا من الذهب مقابل مدحه بأشعاره ، ونال كذلك محمد بن عبد الكريم الجزائري المتوفى بفاس 1690م مكانة سامية عند السلطان مولاي اسماعيل، وقد ساهم الجزائريون في نشر العلم والمعرفة في المجتمع المغربي وقد استمر توافد العلماء الجزائريين على المغرب الأقصى خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر لقد بقيت الجزائر مقصد للعلماء المغاربة، حيث أشاد ابن زاكور المغربي 1663-1708م بعلماء الجزائر لما حل بهم سنة 1683م وقال: "عنهم غرر أعلام تنجلي بهم الأظلام وشموس أئمة تنفرج بهم الغمة وتفتخر بهم أخبار الأمة"[1].

ومن علماء المغرب الأقصى الذين كانت لهم اتصالات بالقطر الجزائري في القرن 17م نذكر أبو سالم عبد الله بن محمد العياني 1628-1679م الذي سافر من سجلماسة للحجاز 1662م سالكا في رحلته الطريق الصحراوي، وقد وصف الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية للمدن الصحراوية التي توقف بها، وقد نفس الفترة نجد محمد بن سليمان الروداني المتوفى 1682م قد درس بالجزائر على مفتيها الأكبر سعيد قدورة بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم، وقد ورد في إجازة هذا الأخير لابن زاكور وإجازته إجازة مطلقة عامة على شروطها المتعرفة عند العلماء القائلين بها في جميع المقروءات معقولا و منقولا"[2].

وتناول عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري في رحلته لسان المقال والأنباء عن الحسب والنسب والآل، والتي كتبها سنة 1745م اتصالاته بعلماء المغرب دارسا و مستجيزا، ومنهم محمد بن عبد السلام بناني وأحمد الورزازي كان بناني هذا يعده معتزليا واتصل أيضا بالشيخين عبد السلام القباب وعبد القادر الفاسي، وقال أنه لم يحصل منها على طائل و يظهر أن الشيخ الفاسي قد أصبح عاجزا

[1]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية** ، ط2 ،دار الرشاد الحديثة ، 1415هـ/1994م، ، ص23.

[2]- أرزقي شويتام، **المرجع السابق** ، ص 79.

عن العطاء بسبب سنه، ففي أيام المولى اسماعيل حضر مجالس الطبيب عبد الوهاب أدراق وهو طبيب القصر الملكي كما حضر مجالس علماء آخرين وابن حمادوش عالم الفلك وهيئة وطبيعيات، وذكر أسماء عدد من مؤلفاته في هذه المجالات والتحق بالمغرب عدد كبير من المثقفين الجزائريين بعضهم إبان الاحتلال الاسباني لبعض ثغور الجزائر وبعضهم في فترات لاحقة وذكر السليماني في لسان العرب أسماء عدد من الأسر العلمية المهاجرة ومن بين علماء الجزائر الذين استقروا بمراكش و ساهموا في تنشيط التثقيف والتوعية العالم عبد القادر بن محمد الراشدي الذي أسند إليه القضاء في مراكش وكان يلقب بالشركاوي وتولى التدريس في القرويين [1].

واجتمع أبو القاسم الزياني بعلماء قسنطينة وبعض صلحائها كالعلي بن مسعود الونسي وتنقل المثقفين والدارسين بين المغرب والجزائر، كتنقل ساكن القطر الجزائري بين وهران وتلمسان فكان تبادل بين الأقطار الخطابات والمذاكرات[2]، ويبقى أهم شيء يعتمد عليه التواصل الثقافي بين البلدين هو حجم المشاركة العلمية وحجم الإنتاج العلمي غزارة التأليف وتنوع الموضوعات ما بين علوم القران والحديث إلى الفقه والمنطق [3].

في حين ارتحل بعض كأبو علي حسن بن علي شاعر الثائر رحل إلى مراكز ومدح الخليفة الموحدي ونال جائزة السنية وله رحلة كتبها حول سفره من قسنطينة إلى مراكش وأيضا من علمائها من ولي قاضيا على مراكش أبو عبد الله بن مروان محمد بن علي الهمداني فقيه وهراني الأصل نشأ في تلمسان[4]، في حين قام الشيخ محمد بن علي الخروبي بعدة أسفار إلى المغرب حيث زار فاس ومراكش وأخذ عنه علماء المغرب والشيخ سعيد قدوره رحل إلى تلمسان والشيخ على النصارى ارتحل إلى فاس وأخذ عن مشايخها عبد الله بن طاهر الحسني والشيخ أبو القاسم الزياني نزل بوهران ضيفا على الباي محمد الكبير ثم التحق إلى تلمسان، وقضى بها مدة طويلة بين علمائها كان يفكر في استقرار في

[1]- إبراهيم حركات، **المرجع السابق** ، ص 24.

[2]- زهراء نظام، **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ 16م**، المحمدية ، 2015 /2016م، ص 406.

[3]- الجيلالي شقرون ، **تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط** ، مجلة الفقه والقانون ، د.د.ن، د.ب. ن ، د.س.ن ،ص03.

[4]- نور دين عبد القادر، **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي** ، مطبعة البعث قسنطينة ، 1965م ، ص 168.

الجزائر لكن نظرا ضغوطات جعلته يغادر الجزائر[1]، وأيضا ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمان اليسينتي الفاسي الفقيه المتكلم النظار نشأ حريصا على طلب العلم مجتهد فيه أخذ عن تلمسان وقسنطينة وهناك بعض العائلات التي ساهمت في التواصل الثقافي عائلات تلمسانية اهتمت بالفقيه وعائلة الونشريسي المغلي والمقري والعقاني[2].

وقد ذكر ابن عساكر العلماء الذين كانوا يتجمعون بفاس والمليانيون والوزانيين والقسنطينيون وبعض العلماء :

1/ أحمد بن يحي الونشريسي أبو العباس التلمساني 1430هـ-1509 م هو العالم والعلامة كان حجة المغاربة على الأهل وانتقل إلى فاس و استوطنها .

2- أحمد الوهراني بن أبي جمعة شقرون أبوالعباس1514م: الشيخ والفقيه والعلامة معروف بالسيد شقرون رحل إلى فاس له عدة مؤلفات واشتغل بالتدريس توفي بها [3].

3 – أحمد بن محمد العبادي لتلمساني 1533م: درس في جامع القرويين انتفع الناس بعلومه وأخذ فقه عن يسريا أبي محمد الهبطي تنافس مع فقهاء فاس .

4- ابن جيدة الوهراني أحمد بن محمد بن يحي: كان يدرس علم الكلام بفاس إلا أن توفي بها

5- علي بن موسى بن علي بن هارون ابو الحسن 1466-1545م: هو الشيخ الفقيه والأستاذ العددي وأخذ عن الونشريسي له مشاركة في علوم التفسير والحساب انتقل إلى فاس لازم العلامة ابن غازي 29 سنة في البحث والتحقيق .

6- الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي1549م: هو عالم وفقيه كان قاضي فاس ومفتيها .

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2، الجزائر ،1985م ، ج1، ص 504.

[2]- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م** ، ط2، د.د.ن ، د.ب.ن ، 2006م، ج 1، ص148.

[3]- محمد بن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، تح : محمد بن أبي شنب ، منشورات السهل ، د.د.ن ، د.ب.ن ، ص 80 .

7- العقباني أحمد بن محمد أبو العباس 1572م: ولد تلمسان انتقل إلى فاس حيث جلس للتدريس بجامع القرويين وكان فقيها.

8- أحمد بن يعقوب البادي أبو العباس التلمساني 1572م:من فحول العلماء اشتغل التدريس ثم رجع إلى تلمسان واستقر بمليانة[1].

ويتصدر علماء الجزائر الذين هاجروا إلى المغرب الشقيق خلال القرن 16م أحمد بن أبي جمعة أبو العباس من كبار فقهاء المالكية في عصره ولد وتربى ونشأ في وهران رحل إلى فاس[2]، أما علماء المغرب الذين هاجروا من المناطق الغربية المحتلة من قبل البرتغاليين إلى الجزائر نجد عبد الله الخياط، ذلك أن العلماء كانوا يتوجهون إلى فاس وذلك لأهمية جامع القرويين وهيئته العلمية التي كانت تتألف دوما من مشاهير العلماء، ومدارس أخرى، وفاس هي المدينة المفضلة لديهم ومن بينهم: التلمساني محمد بن محمد، محمد شقرون، عبد الواحد الونشريسي، علي بن عيسى، أحمد العقباني، عبد الرحمان التلمساني، وكان أشهرهم أحمد المقري....وغيرهم، أما تلمسان فقد كانت مقصد الكثير من الطلبة المغاربة والعلماء وغيرهم لعل من أبرزهم: الحسن الوزان، أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسيتني من فقهاء المالكية الخطباء من أهل فاس[3].

ويرجع كل ذلك إلى التقارب بين البلدين ،وانعدام الحوافز الطبيعية، والتركيبة البشرية والتكوين الثقافي، والنسيج الاجتماعي ووحدة المذهب المالكي ولقد توثقت الصلات الثقافية عن طريق المحاضرات والمناقشات العلمية كما توثقت عن طريق استكمال عدد من طلبة تلمسان لدراستهم بالمعاهد المغربية فضلا عن البلاط الملكي المغربي الذي احتضن العديد من الشخصيات الفكرية[4].

-لقد استمرت الصلات الثقافية والعلمية بين بلدان المغرب العربي بواسطة انتقال طلبة العلم بين الحواضر الثقافية كما كان للرحالة دور بارز في تمازج الأفكار والثقافات، وظلت مشاركتهم نشيطة

---

[1]- محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ، تح : الشريف محمد حزة بن علي الكتاني، د. د .ن ، د.ب.د، د.س.ن، ج 3 ، ص353.

[2] - عمار بن هلال، **العلماء الجزائريين في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرن 9م 20م** ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،2010،ص118.

[3] - عبد الهادي التازي، **جامع القرويين** ، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973 م، ج2، ص507-510.

[4]- عمار بن خروف، **المرجع السابق**، ص182.

وفعالة الأمر الذي شكل منهما عاملان مهمان من عوامل التجانس الفكري بين أهل العلم في هذا القطر وبالرغم من أن المغرب الأقصى لا يدخل في المسار الجغرافي للرحلة الى الحج بالنسبة للجزائريين، الا ان جل رحالة الجزائر ساهموا في التحدث عنه وعن الحركة الفكرية والتعليمية فيه، وأوردوا نماذج عديدة من الاجازات والرسائل الاخوانية والأسئلة العلمية ونصوص التلغيز التي دارت بينهم وبين أعلام المغرب الأقصى فثمة أمثلة حية أظهرت المظاهر العامة للتواصل العلمي المغربي الجزائري كان من أبرزها :

أعلام المغرب الأقصى في مؤلفات الرحلة: تميز الرحالة بعنايتهم بالثقافة والعلم وباحتضانهم لصفوة العلماء وبتكوين صداقات علمية وودية معهم، فتعرضوا إلى ذكر أسماء أعلام ورجال العصر البارزين في رحلاتهم وعرفوا بهم فبالنسبة للمقري الذي اتخذ المغرب الأقصى موطنا ثانيا له بعد الجزائر ومكث به أكثر من خمسة عشر عاما، فكانت له علاقات وطيدة بأهل العلم ،فتعرف على عدد لابأس به من الفقهاء والقضاة وحتى الحكام، وقد أحسن المقري في تلخيص الحركة الثقافية بحاضرتي فاس ومراكش بتأليف، كتابه المشهور "روضة الآس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين مراكش وفاس" الذي وضع فيه تراجم العلماء وكل العلاقات العلمية التي عرفها خلال اقامته، وعدد فيه أربعة وثلاثين عالما من مدينتي فاس ومراكش كما اشتمل على عدد من القصائد له ولعلماء عصره وبعض الاجازات[1].

كان من بين الاجازات في المغرب الأقصى إجازات المقري نظرا لمكانته التي كان يتمتع بها والتي أتاحت له الفرصة بإقبال العلماء على دروسه وإجازاته، ومن جملة العلماء الذين أجازهم المقري نجد العالم محمد بن قاسم ابن القاضي [2]، أحد أعلام عائلة ابن العافية الشهيرة بفاس، تتلمذ على عمه

[1]- ليلى الغويني، **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر -2- ،2010م-2011م ،ص ص 128-129.

[2] -**هو محمد بن قاسم بن القاضي** ،توفي عام: 1040 هـ/1631م قتيلا لاتهامه بالميل الى عبد الله بن المأمون ،عن هذه القضية .أنظر عبدالهادي التازي ،**في تاريخ المغرب جامع القرويين (المسجد والجامعة بمدينة فاس)موسوعة لتاريخها المعماري والفكري** ،مج2-3،ط1،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1973م،ج2،ص519.

أبي العباس بن القاضي [1]، عالم وفقيه فاس، أما علاقته بالمقري فكانت علاقة الطالب بالأستاذ .فقد حضر ابن القاضي دروس المقري بجامع القرويين ولازمه مدة ،الا ان تمت اجازته له التي اختار لها أن تكون في قالب نثري فأذن له فيها برواية كل مروياته ومؤلفاته النثرية والنظمية [2].

أما اجازته للعالم محمد بن يوسف التاملي، وهو من أهم أصدقائه والمعجبين به وبعلمه، فتوجه هذا العالم الى فاس في أواخر سنة 1026هـ-1617م ،حيث نزل عند المقري بغرض العلم والحصول على اجازة منه فنظم قصيدة في ذلك[3].

ومن العلماء الذين أجازهم المقري، العالم الحسن بن علي الفاسي الذي يعتبر أبرز شعراء العصر السعدي ،كانت تربطه علاقة صداقة متينة بالمقري تمثلت في المراسلات وتبادل الألغاز، إذ تحصل على اذن برواية جميع مرويات المقري، وبشكل خاص تأليفه "أزهار الرياض" وكان العالم الرجراجي من الذين بعثوا إلى المقري من أجل الحصول على اجازته، وقد أورد المقري في رحلته نماذج أخرى عرفتنا على علاقات المغاربة ببعضهم البعض وتواصلهم المستمر حتى وهم بالمشرق ،فكانت إجازة المقري للعالم أبي بكر السنوسي تعبر عن هذا المظهر من التفاعل[4].

تعد المراسلات بين العلماء عاملا أساسيا في دفع العلاقات العلمية والفكرية وتوسيع رقعتها وتعميقها وتتنوع الرسائل بحسب الغرض المقصود من كتابتها فمن خلال ما ورد في رحلة المقري نجد :مراسلات لغرض التقريض :اذ يعتبر من أهم الصور التي تعبر عن التواصل الفعلي بين أهل العلم بحيث يعبر المقرظ عن اهتمامه بأعمال غيره من العلماء ويلعب هذا الأمر دورا هاما في التعريف بأعمال المقرظ له، ومما لاشك فيه أن أعمال المقري كانت تجد استحسانا كبيرا من العلماء ،لنبوغه في

[1]- هو **أبو العباس احمد بن محمد بن القاضي المكناسي**، تربى في مدينة فاس التي التقى فيها بعلماء الأندلس والجزائريين الوافدين عليها ،كان من المهتمين بالعلوم الشرعية والأدبية تخرج على يد أكبر علماء القرويين مثل أحمد بن علي المنجورات سنة 995هـ ، ،اشتغل سفيرا ،قلده المنصور الذهبي منصب القضاة بمدينة سلا في حدود سنة1000هـ ، ".أنظر: المقري، **المصدر السابق**، ص ص 289-316.

[2] -المقري، **رحلة المقري الى المغرب والمشرق** ،تح: محمد بن معمر ،مكتبة الرشاد ،الجزائر ،2004،ص78.

[3]- هو **الفقيه أبو عبد الله محمد يوسف التاملي السوسي المراكشي** ،عاصر أجلة علماء فاس وأخذ عنهم ،منهم أبو عبد الله الترغي ومحمد المستغانمي .أنظر:محمد أمين المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** ،دار صادرة ،بيروت ، د.ت.ن،ج4،ص271.

[4] -المقري، **المصدر السابق**، ص ص 192-193.

الكتابة وانفراده بكثرة التأليف [1]، ولقد لقي كتاب "أزهار الرياض" صدى كبيرا في أوساط العلماء الذين استحسنوا هذا العمل كالعالم المكلاتي[2].

تبادل الزيارات :لقد عبر المقري في رحلته عن الحركة الثقافية الحاصلة في المغرب الأقصى ،واذا كانت الاجازات والمراسلات سابقة الذكر شواهد على تبادل أهل العلم فان زيارات العلماء ببعضهم البعض في المناسبات كثيرا ما تنتج رصيدا فكريا مميزا يتجسد في المناقشات العلمية والمداعبات الأدبية التي تمثل الصورة الحقيقية لثقافة العصر.

الحركة التعليمية بالمغرب الأقصى: لعبت المراكز الثقافية الكبرى بالمغرب الأقصى دورا بارزا في استقطاب طلبة الجزائر بصفة عامة، والرحالة بصفة خاصة، بقصد العلم كما أنهم ساهموا بدورهم في تنشيط الحياة الثقافية فيها، وبما أن ركائز التعلم ووسائله كانت مبنية على ثلاثة أسس هي المدرس والمواد المدرسة والمنهج المتبع للتدريس فقد استطاع ابن حمادوش توفير كل المعطيات حول كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة، خصوصا وأن غرضه الأساسي في الرحلة هو العلم كان للطلبة الحرية في اختيار شيوخهم، وعليه تعددت اختيارات ابن حمادوش لأساتذته وهو بالمغرب الأقصى ،فقد لازم مجموعة من الشيوخ بقصد الاجازة واختار مجموعة أخرى بهدف التحصيل العلمي [3].

ومن أهم هؤلاء الأعلام نذكر :

الشيخ البناني: يمكن القول أنه أهم شخصية تعليمية بالمغرب الأقصى وقد اشتهر البناني بدراسته على أكابر علماء المغرب والمشرق ،وقد خصهم بترجمة ترمي الى التعريف بهم والتي قدمها الى ابن حمادوش ، وآثر هذا أن يضع قائمة لشيوخ البناني بالمغرب والمشرق في رحلته.

الشيخ أحمد بن المبارك: حضي ابن حمادوش بمدينة فاس بحضور دروس الشيخ احمد بن المبارك الذي قرأ عليه مختصر السنوسي في المنطق ،وقد كان ابن حمادوش معجبا بعلم ابن المبارك ، وقد كان ابن حمادوش مصرا على الحصول على إجازة ابن المبارك وللأسف لم يحصل عليها بخط أستاذه لأن هذا الأخير وافته المنية اثر إصابته بمرض الطاعون، لكن الرحالة أصر على شهادة تثبت اجازة ابن

[1]- ليلى الغويني ،**المرجع السابق**،ص133.

[2]- هو **أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي** ،الشهير بالمكلاتي ،كاتب الخلافة السعدية الحسنية الشريفة بالمغرب ،والمعروف بالبلاغة في الأدب له تآليف عديدة منها :تذييل على نظم الوفيات لابن القشتالي .أنظر:المقري ،**المصدر السابق** ،ص45.

[3]- نفسه، ص ص 181-182.

المبارك له حول مختصر السنوسي، فتوجه إلى القاضي بوخريص يطلب منه شهادته على اجازة ابن المبارك له، فقبل وكتب له إجازة أقر فيها اجازة ابن المبارك كما أضاف إجازته هو أيضا لابن حمادوش وهي مؤرخة سنة 1156هـ/1743م[1].

فكان من بين العلوم المدرسة أن يكون الكتاب هو أهم ركيزة في كيان التعليم وأساسه ،وقد اشتهر كل عنصر بتداول مجموعة من الكتب مما جعل مواد التدريس بالمؤسسات التعليمية يتسابق أهل العلم في حفظها وتحفيظها وشرحها وتقديم مؤلفات حولها ومن خلال ما ورد في الاجازات أو حلقات التدريس، يتضح أن المواد المدرسة في الجوامع المغربية ترتكز أساسا على العلوم الدينية، وعليه اعتمد المدرسون على اقتناء أهم الكتب لتفسير القرآن، وأهم الدواوين لعلم الحديث، كما أنهم اعتمدوا على التدريس في علوم اللغة، إضافة إلى التصوف الذي أخذ حيزا كبيرا في حلقات التدريس مما جعل اهتمام الطلبة وكذا الأساتذة ينصب على أخذ الشروح والكتب حوله ،أما المواد العقلية فكانت محتشمة مقارنة بمواد العلوم الدينية إلا أن بعض المدرسين كانوا يفتحون بابا لتدريس الطب والحساب[2].

ويمكن تصنيف أهم المواد التي تدرس في معظم الجوامع المغربية في التعليم العالي كما يلي :العلوم الدينية وما يتفرع منها :ومن أهمها كتب تفسير القرآن ،دواوين علم الحديث منها كتب السنة وموطأ مالك ،مختصر الخليل ،مسند الإمام احمد ابن حنبل ومسند أبي حنيفة والشافعي.[3]

ومن أهم الدروس التي استقطبت اهتمام الطلبة والعلماء على حد سواء دروس حول قراءة البخاري فقد ذكر المقري أهمية هذا الدرس [4] فقال: "...ولما قرأنا صحيح البخاري بالمغرب وقدحضر القراءة أعلام أكابر..."، كما أنه تحدث عن المناقشات التي دارت بينه وبين الحاضرتين، واهتم العلماء بتدريس الكتب المعرفة ككتاب تلخيص المفتاح وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

[1]- عبد الرزاق ابن حمادوش، **رحلة ابن حمادوش المسماة :"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"** ،تح :أبو القاسم سعد الله ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1983،ص ص:40-62.

[2]- نفسه، ص83.

[3]- ليلى الغويني، **المرجع السابق** ،ص142.

[4]- المقري، **المصدر السابق**،ص ص 179. 208.

للقاضي عياض، وكان الأساتذة يقدمون شروحا للمؤلفات المشهورة، وتصبح هذه الشروح محل اهتمام الطلبة الذين يتقدمون لدراستها وأخذ إجازة عنها من صاحبها، فأشار ابن حمادوش إلى حصوله على إجازة الشيخ البناني الذي أذن له فيها بتدريس شروحه فمنها:

العلوم العقلية :

يبدو أن اهتمام المدرسين للعلوم العقلية كان شبه منعدم فقد لوحظ عدم إتقانهم لعلم الفلك ، أما بالنسبة لعلوم الطب والحساب والهندسة فكانت منعدمة تماما، وأشار ابن حمادوش إلى القلة مدرسي علم التنجيم والعاملين فيه، أما فيما يخص علم التوقيت فقد وجد بعض الاهتمام[1].

منهج التدريس ونظام المواقيت:

وعن منهج التدريس ونظام المواقيت لم يختلف عما كان متعارفا عليه في ذلك الوقت، فكان يعتمد أساسا على الإملاء والشرح، وهي الطريقة المعتمدة في التعليم العالي، حيث يقوم المسمع بقراءة جزء من الكتاب المدرس ثم يقوم المعلم بشرح الجزء المسموع ويفتح باب النقاش التوسيع دائرة فهم المعاني، وحتى تتم غاية التحصيل العلمي كانت الدروس تسير وفق نظام المواقيت، حيث كان اليوم مقسما إلى:

الفترة الصباحية:

كان الدرس الأول يبدأ بعد صلاة الصبح إلى الضحى، وكان بعض المدرسين يختار الفترة من زوال الشمس إلى صلاة الظهر لإلقاء درسه،كما أنه يفتح حصة في يوم الجمعة إلى صلاة العصر، إذا أراد إتمام الدرس على كتاب

الفترة المسائية:

الحصة التي تكون ما بين صلاتي المغرب والعشاء [2].

- **الحوارات والمنافسات:**

أظهرت الحوارات والمنافسات بين العلماء جوانب عديدة من القضايا الدينية والاجتماعية التي ساهمت في إيضاح مميزات التواصل الثقافي بين البلدين فإلى جانب الحلقات المتعقدة من أجل الدراسة ،كانت هناك جملة من المجالس أين جرى فيها النقاش حول قضايا الأمة والقضايا العلمية، وكانت

[1]- ابن حمادوش، **المصدر السابق** ، ص 71.

[2]- نفسه، ص 72.

مجالس ابن راس نموذجا لفعاليات نقاش العلماء وبما أنه حضر حلقات متسلسلة لإبراز أعلام المغرب الأقصى، فقد ذكر جملة من المواضيع التي طرحت [1].

مجالس أعلام فاس :

حضي أبو راس بلقاء أعلام فاس ومن بينهم أديب فاس وعالمها الشيخ حمدون، وأسفر هذا التواصل على حوارات شيقة حول الشعر في العصر العباسي كما أنه لقي الشيخ عبد القادر بن شقرون، فقدم هذا الأخير تقريظا لأبي راس حول شرحه للمقامات كما كان العلماء يحظون بمنزلة هامة يسعى أهل السلطة إلى التقرب منهم، وهذا ما فعله السلطان أبو الربيع سليمان، الذي أقام مجلسا على شرف أبي رأس وفتح باب المناقشات في شتى المواضيع للاستفادة من علم ضيفه[2].

وتحدث ابن حمادوش عن بعض المجالس العلمية التي حضرها منها مجلس شيخة الورزازي، المقام بجامع عند باب الملاح، وكان موضوع المناقشة فقهيا حول أفضلية الملائكة والرسل وكانت لابن حمادوش حوارات أخرى مع علماء فاس في مواضيع نخص علم التنجيم ومعلم المواقيت[3].

[1]- ابن حمادوش، **المصدر السابق** ، ص 36.

[2]- الناصري، **المصدر السابق** ، ص ص 106-107.

[3]- ابن حمادوش، **المصدر السابق** ، ص ص 65-77

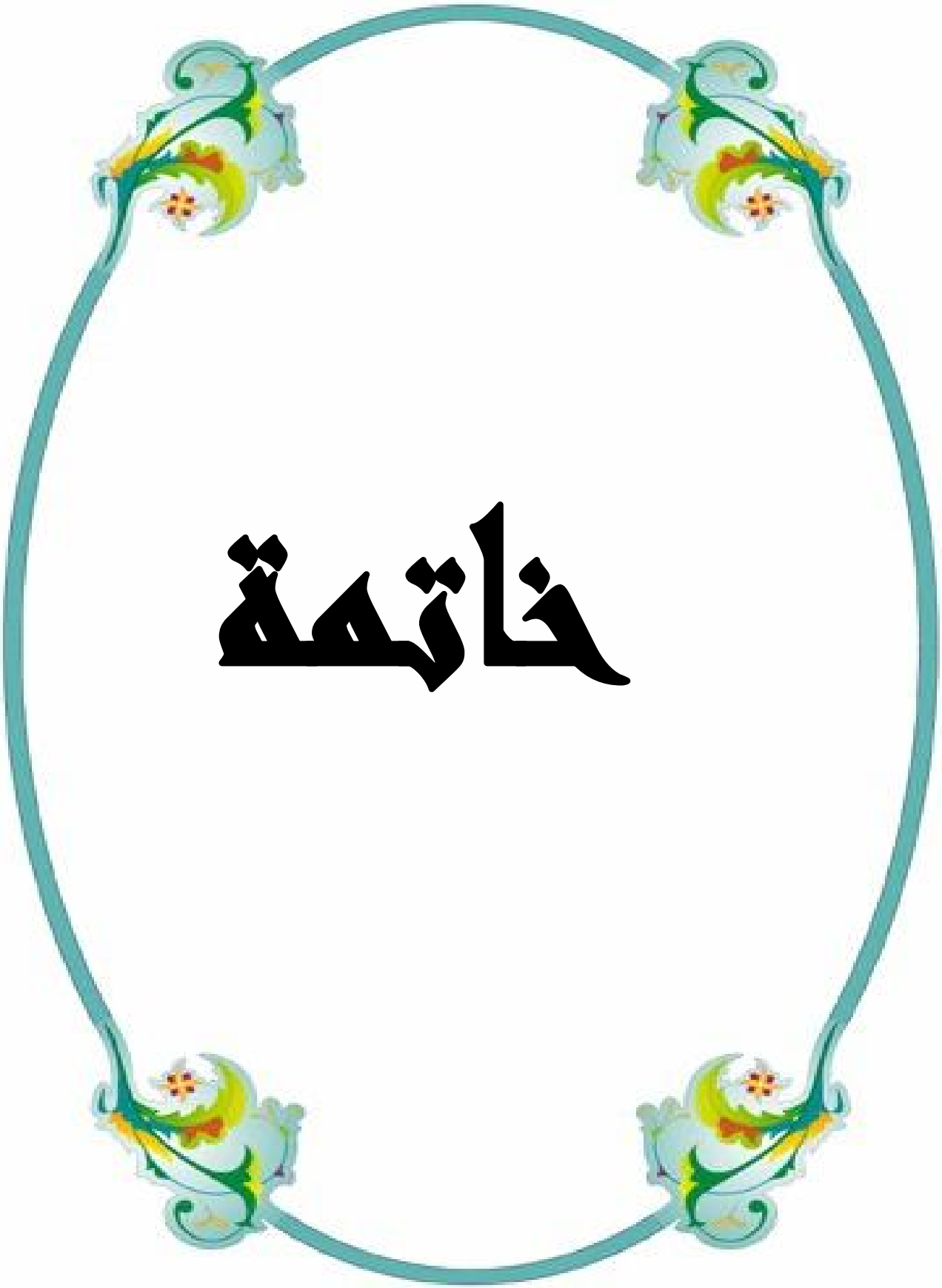

خاتمة

مما سبق يتضح لنا أن البحث يرتكز على ثلاثة محاور أساسية هي: التطورات الحاصلة في المغرب الأقصى ما بين القرنين 15م-19م والحياة الاجتماعية والثقافية في مدينتي فاس ومراكش ودور المراكز الثقافية وصلاتها مع الجزائر، إذ نستخلص منها ما يلي :

- أهمية الموقع الاستراتيجي للمغرب الأقصى الذي ساهم في ازدهار الحياة الثقافية .
- رغم التحولات السياسية والاضطرابات التي عرفها المغرب الأقصى في هذه الفترة الا أن الحركة الثقافية عرفت انتعاشا في عهد السعديين والعلويين لاهتماماتهم بالتعليم والعلماء.
- وبالمقابل كان لهجرة الأندلسيين والعلماء والطلبة وتأثيرهم في الحياة الفكرية ناهيك عن وجود عدة حواضر ثقافية خاصة فاس ومراكش دور كبير في النهوض بالفكر المغربي على ما كان عليه من قبل .
- اختلفت الروايات حول تأسيس مدينة التي كانت عبارة عن عدوتين، عدوة الأندلسيين نسبة الى المهاجرين الأندلسيين، وعدوة القرويين نسبة الى الوافدين من القيروان، باعتبار أن الأولى كانت تنسب إلى ادريس الأول حسب بعض المصادر أما الثانية فتنسب إلى إدريس الثاني، وفيما بعد تم تجديد مدينة فاس في عهد بني مرين سميت بفاس الجديد.
- بينما تأسست مراكش على يد يوسف بن تاشفين المرابطي .
- ولقد كانت بنية فاس تتكون من البربر السكان الأصليين والشرفاء والمسيحيين واليهود والأندلسيين، أما مراكش فكانت تتكون من مزيج بشري من البرابرة الثلاثة (صنهاجة، مصمودة، زناتة) بالإضافة الى الأندلسيين والمماليك القادمين من السودان، واليهود والمسيحيين .
- اشتهرت فاس بالمساجد الجامعة كجامع القرويين وجامع الأندلس، وعدد من الزوايا أهمها المتوكلية والدلائية، ولقد كانت الأوقاف أكبر دعامة للتعليم حيث كانت تصرف أموالها لإصلاح المساجد والزوايا وتلبية حاجياتهم باعتبارها مركز الاشعاع الثقافي والعلمي، في حين اشتهرت مراكش أيضا بعدد من المساجد والزوايا والمدارس مما جعلها تكون احدى الحواضر الكبرى بالمغرب الأقصى حتى أطلق عليها ببغداد المغرب .

- تنوع دور المراكز الثقافية في المدينتين من اجتماعي وديني وثقافي في سبيل نشر العلم والتعليم وخدمة العلماء وتدريس علوم الدين في أولها الفقه.
- وقد استمر نشاط هاته المراكز في الحاضرتين فاس ومراكش وأصبح هناك تبادل ثقافي مع الأقطار الاسلامية المجاورة من بينها الجزائر وذلك بفضل الدور الذي لعبه العلماء والرحالة في تمازج الأفكار والمعتقدات.

البيبلوغرافيا

أ/قائمة المصادر:

1. إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، 1959، ج 6.

2. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان** ، تح:إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م.

3. إبن زيدان، عبد الرحمن العلوي، **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م.

4. إبن زيدان، عبد الرحمن، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل بن الشريف** ، تح : عبد الهادي التازي، ط1، مطبعة اديال ، الدار البيضاء ، 1413هـ/1993م.

5. إبن زيدان، عبد الرحمن ، **الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، المطبعة الاقتصادية بالرباط ، 1973م.

6. إبن موسى الريفي، عبد الكريم، **زهر الأكم**، مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى بن عبد الله بن المولى إسماعيل، تح : أسية بنعدادة ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1992م.

7. ابن حمادوش، عبد الرزاق، **رحلة ابن حمادوش المسماة :"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"**، تح :أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ،1983م.

8. الإصطخري، أبي اسحاق ابراهيم بن محمود، **مسالك الممالك**، طبعة ليدن ، د. ب. ن ، 1927م

9. ابن مريم التلمساني ، محمد، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، تح : محمد بن أبي شنب ، منشورات السهل ، د.د.ن ، د.ب.ن.

10. التمبكتي، أحمد بابا، **نيل الانتهاج بتطريز الديباج**، ط1، د.د.ن، د. ب .ن، د. س.ن، ج 2.

11. الجزنائي، علي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، المغرب، 1991م.

12. جوليان، شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تع: محمد مزالي، البشير سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية ، د .ب . ن، 1968م.

13. **رحلة الأسير مويط**، تر: حجي محمد، الأخضر محمد، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريساني، د.د.ن، المغرب، د.س.ن.

14. الرباطي، محمد الضعيف، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعدية)**، تح: أحمد العماري، ط1، دار المأثورات، الرباط، 1406هـ/1986م.

15. الزياني، أبو القاسم، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف (من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)** تح: رشيد الزاوية، د.د.ن، المغرب، د.س.ن.

16. طوريس، ديكودي، **تاريخ الشرفاء**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المدارس، المغرب، 1989م.

17. الفاسي، علي بن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، المغرب، 1972م.

18. الفاسي، علي بن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، د.د.ن، د.ب.ن، د.س.ن.

19. الفشتالي، أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح: عبد الكريم كريم، المطبعة العصرية، الرباط، 1393هـ/1973م.

20. القلقشندي، أبو العباس، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المطبعة الأميرية، مصر، 1915م.

21. كاربخال، مارمول، **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، المغرب، د.س.ن، ج 2.

22. الكتاني، محمد بن جعفر، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تح: الشريف محمد حزة بن علي الكتاني، د. د .ن ، د.ب.د، د.س.ن، ج 3.

23. مجهول، **الحلل الموشية في ذكرالاخبار المراكشية** ، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، د.د.ن، الدار البيضاء، د.ت.ن.

24. المحبي، محمد أمين، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادرة، بيروت، د.ت.ن،ج4.

25. المراكشي، عبد الواحد، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، تح:محمد سعيد العريان ، د.د.ن، القاهرة ، 1949م.

26. المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الله الموقت، **السعادة الأبدية في التعريف بالحضرة المراكشية** ، مرا: أحمد متفكر، ط3 ، مؤسسة الآفاق، مراكش، 1432هـ/2011م .

27. المقري، أحمد بن محمد، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، ط2، المطبعة الملكي، الرباط، 1988م.

28. المقري، **رحلة المقري الى المغرب والمشرق**، تح:محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004 م.

29. النميري، ابن الحاج، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعدية إلى قسنطينة والزاب**، دمحمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1990م.

30. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط 2، طبع في مدينة ليدن، مطبعة ابريل ، 1909 م.

31. المكناسي، أحمد بن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس** ، دار المنصور، المغرب، 1973م.

32. المكناسي ثم المراكشي، الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين الخزرجي، **التنبيه المعرب كما عليه الآن حال المغرب** (السفر الأول)، تق: محمد المنوني، دار المعرفة، ط1، المغرب، 1415هـ /1994م.

33. المنصوري، أحمد، **كباء العنبر من عظماء زيان و أطلس البربر**، تح : محمد بن الحسن، ط1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 1425هـ /2004م.

34. مؤرخ مجهول، **تاريخ الدولة التكمدارتية**، تح: عبد الرحيم بنحاده، ط1، مطبعة تينمل، مراكش، 1994م.

35. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى – الدولة السعدية** – تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1418هـ/ 1997م.

36. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – الدولتان المرابطية و الموحدية**، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، المغرب، 1997م.

37. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي، **وصف إفريقيا**، تر : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 1983م ،ج 1.

38. اليفراني، محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، منشورات ارنست لوروكس، باريس، 1888م.

ب/قائمة المراجع :

1. ابن العربي، الصديق، **كتاب المغرب**، ط3، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1404 هـ/ 1984 م.

2. إبن عبد الله، عبد العزيز، **تاريخ المغرب** – العصر الحديث والفترة المعاصرة ، مع المعجم التاريخي أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة أبجديا، مكتبة السلام الدار البيضا ومكتبة المعارف الرباط، د.ت.ن.

3. أبو رحاب، محمد السيد محمد، **العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف** ، دراسة آثارية معمارية، ط1، دار القاهرة، مصر، 2008 م.

4. أبو مصطفى،كمال السيد، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي** من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي، مركز الاسكندرية،مصر، 1996م.

5. الأرقش، دلندة، وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، د.ب.ن، 2003.

6. بن خروف، عمار، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م** ، ط2، د.د.ن، د.ب.ن، 2006م، ج 1.

7. بن هلال، عمار، **العلماء الجزائريين في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرن 9م 20م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

8. بنين، أحمد شوق، **تاريخ خزائن الكتب بالمغرب**، تر: مصطفى طوبي، ط1، الخزانة الحسينية، مراكش، 2003م.

9. بوعياد، محمود، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع /15م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

10. بوكاري، أحمد، **الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد دورها الإجتماعي والسياسي**، ط1، د.دن، د.ب.ن، 140هـ/1989م، ج 2.

11. التازي، عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عهد العلوين**، الهيئة العامة مكتبة الاسكندر، المغرب، 1708هـ/1988م.

12. التازي، عبد الهادي، **جامع القرويين**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، **1973**، ج2.

13. التازي، عبد الهادي، **قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا** بواعث تشييده وعملية ترميمه، د.د.ن، الرباط، **1911**م.

14. التازي، عبدالهادي، **في تاريخ المغرب جامع القرويين (المسجد والجامعة بمدينة فاس)موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، مج2-3، ط1،دار الكتاب اللبناني، بيروت، **1973**م، ج2.

15. الجراري، عباس، **فاس في تاريخ المغرب**، د.د.ن، د.ب .ن، د .س. ن.

16. جلاب، حسن، **الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال**، ط1، الوراقة الوطنية، مراكش، **1994** م.

17. الجمعية المغربية، **معلمة المغرب**، مطابع سلا، الدار البيضاء، **1410** هـ /**1989**م، ج **2**و24و19 و25.

18. حجي، محمد، **الزاوية الدلائية و دورها الديني والعلمي والسياسي**، ط**2**، د.د.ن، د.ب.ن، **1409**هـ /**1988**م.

19. حجي، محمد، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب، د .ب.ن، د.س. ن، ج2.

20. حركات، إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ /2000م، ج2.

21. حركات، إبراهيم، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، ط**2**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، **1415**هـ/**1994**م.

22. الدراجي، بوزياني، **ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية**، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 1230هـ/2013م.

23. الذهبي، نفيسة، **الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م.

24. رزوق، محمد، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، افريقيا الشرق، الدار البيضاء،1991م.

25. رزوق، محمد، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16/17م**، إفريقيا الشرق ، ط3، الرباط، 1986م.

26. رياض، محمد، **إفريقيا**، دار النهضة العربية، لبنان، 1966م.

27. الزمزمي، محمد، **الزاوية ومافيها من البدع والأعمال المنكرة**، د.د.ن، د. ب. ن، د. ب. ن، د. س. ن.

28. السائح، الحسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ /1986م.

29. سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985م، ج1.

30. الشابي، مصطفى، **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، 1995م.

31. الشاهدي، حسن، **أدب الرحلة في العصر المريني**، منشورات عكاظ، الرباط، 1990م.

32. الشاهري، مزاحم علاوي، **الحضارة الإسلامية في المغرب (العصر المريني)**،د.د.ن ، د.ب.ن، د.س.ن.

33. شوقي، عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)**، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1977م.

34. ضيف، شوقي، **عصر الدول والإمارات: الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان**، ط1، دار المعارف، مصر، 1995م

35. طه، جمال أحمد، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين**، – دراسة سياسية وحضارية (448هـ/1058م) (668هـ/1269م)، ط1، دار الوفاء، مصر.

36. ظريف، محمد، **مؤسسة الزوايا بالمغرب**، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، 1992م.

37. عاطف، عبد، **قصة وتاريخ الحضارات العربية**، موسوعة تاريخية – حضارية – أدبية، ليبيا، السودان ، المغرب، العدد 19 / 20 ، د. د.ن، 1998 -1999م.

38. عامر، محمود علي، فارس محمد خير، **تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر (المغرب الأقصى ليبية)** ، دمشق، **2000م**.

39. عياش، آلبر، **المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، تر: عبد القادر الشاوي، نور الدين سعودي، ط1، دار الخطابي، د.ب.ن، 1986م.

40. الفيلالي، عبد الكريم، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج 1، ط1، شركة ناس، القاهرة، **2006 م**.

41. كنون، عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، د.د.ن، د.ب.ن، د.س.ن، ج1.

42. لوطورنو، روجي، **فاس في عصر بني مرين**، تر: نقولا زيادة، فرنكلين للطباعة والنشر، لبنان، 1967م.

43. لوطورنو، روجي، **فاس قبل الحماية**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1416هـ/1995م، ج1و2.

44. لوفو، ريمي، **الفلاح المغربي المدافع عن العرش**، تر: محمد بن الشيخ ، ط1، منشورات وجهة نظر، الرباط ، 2011م.

45. محمد، الأمين محمد، الرحماني محمد علي، **المفيد في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.س.ن.

46. معريش، محمد العربي، **المغرب الأقصى في عهد الحسن الأول**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1989م**.

47. المنوني، محمد، **تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصر**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط، 1991م.

48. المودن، عبد الرحمن، **البوادي المغربية قبل الإستعمار**: قبائل ايناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1995م.

49. نظام، زهراء، **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ 16م**، المحمدية ، 2015 /2016م.

50. نور دين، عبد القادر، **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث قسنطينة، 1965م.

51. الورديغي، عبد الرحيم، **فاس في عهد الاستعمار الفرنسي 1912–1956م** (ملامح من مدينة فاس ، أصولها .. تغيراتها، حالاتها الاجتماعية والسياسية)، ط1، دار المعارف الجديدة، المغرب، 1992م.

ج/المراجع الأجنبية:

1. Pual Schnell **L'atlas marocaine** ، trad ، augustin Bernard ، Paris ، èd ، Frnest leroux ،1898.

د/الرسائل الجامعية:

1. بوذيبة، أمحمد **المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب** "تلمسان وفاس نموذجا " في القرن 10هـ /16م رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2 الجزائر، 2011/2010م.

2. الجندي، علي محمود عبد اللطيف، **مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين** ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، 1425هـ/2004م.

3. سهيل، جمال، **البعثات الديبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ /17م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، 1432/1431هـ/2011/2010م.

4. الغويني، ليلى، **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر –2– ، **2010م/2011م**.

5. فاقة، بكوش، **أبو عبد الله المقري (ت 753) ورحلته العلمية بين تلمسان و حواضر الغرب الإسلامي**، مذكرة ماجستير في التاريخ السياسي و الثقافي لدول المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، **2012م**.

هـ/المعاجم والموسوعات :

1. الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1414هـ /1994م ، ج5.
2. الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت،1957 م.

و/الدوريات:

1. المستعين، عبد الباسط، **المعالم العمرانية لفاس الجديد المرينية**، دورية كان التاريخية، ع 7 ، 2010 م.

2. بوتشيش، إبراهيم القادري، المليح السعيد، **الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال القرن 8هـ/14م (أوقاف مدينة فاس نموذجا)** مجلة عصور الجديدة، ع 11-12، د.د.ن، د.ب.ن، 1435هـ/2014م.

3. شويتام، أرزقي، **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية في الفترة العثمانية**، مجلة الدراسات التاريخية، ع 13، جامعة الجزائر، الجزائر، 2011م.

4. الحضري، نعيمة، **المدارس المرينية بفاس**، مجلة التاريخ العربي، ع380، المغرب، 2006م.

5. بوكريديمي، نعيمة، **دوافع رحلة علماء تلمسان إلى فاس خلال القرن الثامن الهجري /14م**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإجتماعية، ع 16، جامعة شلف ، 2016م.

6. شقرون، الجيلالي، **تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط**، مجلة الفقه والقانون ، د.د.ن، د.ب. ن، د.س.ن.

الملاحق

الملحق رقم01: **خريطة تبين الموقع الجغرافي لمدينة فاس**

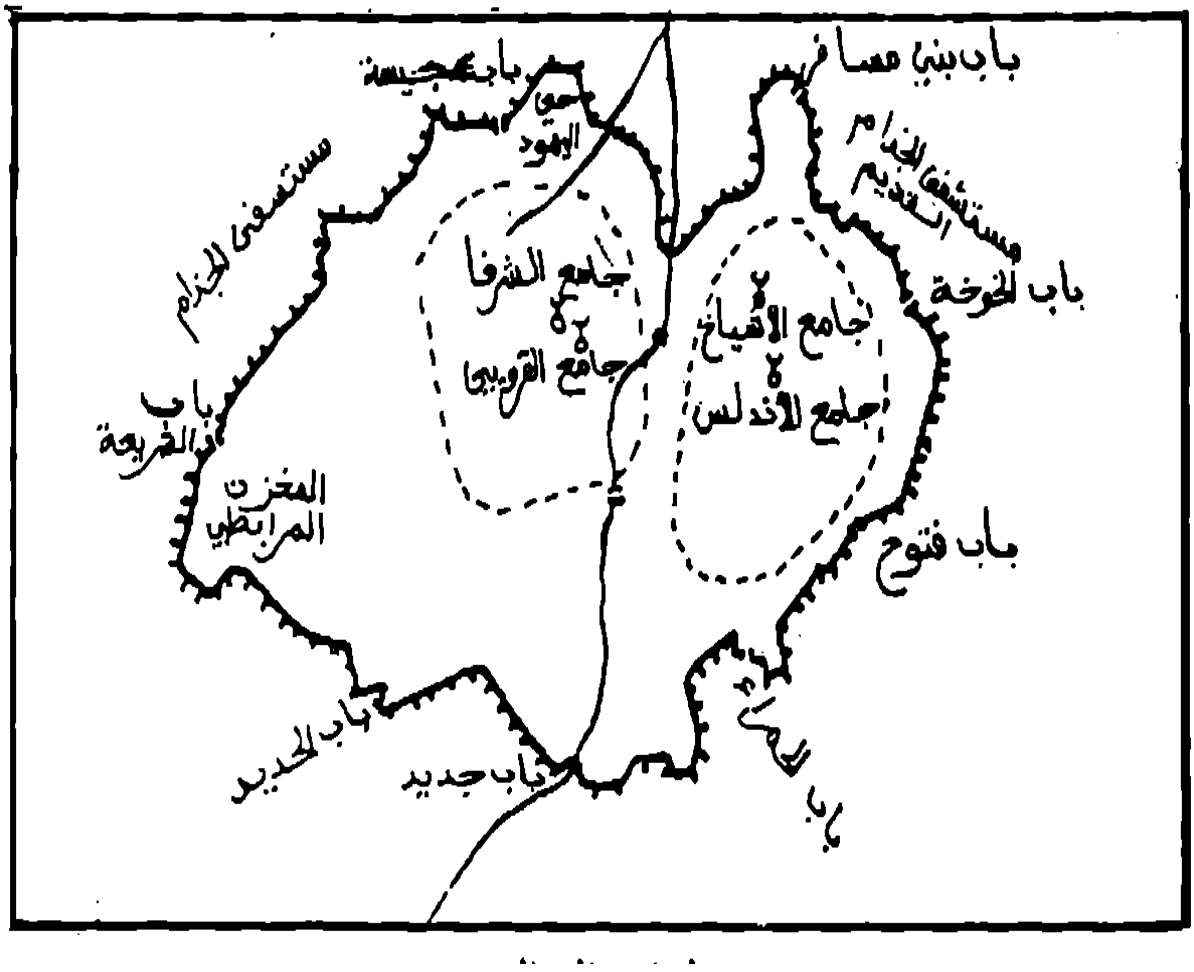

عبد الرحيم الورديغي، **المرجع السابق**، ص 08.

الملحق رقم 02: **خريطة توضح عدوتي الأندلس والقرويين**

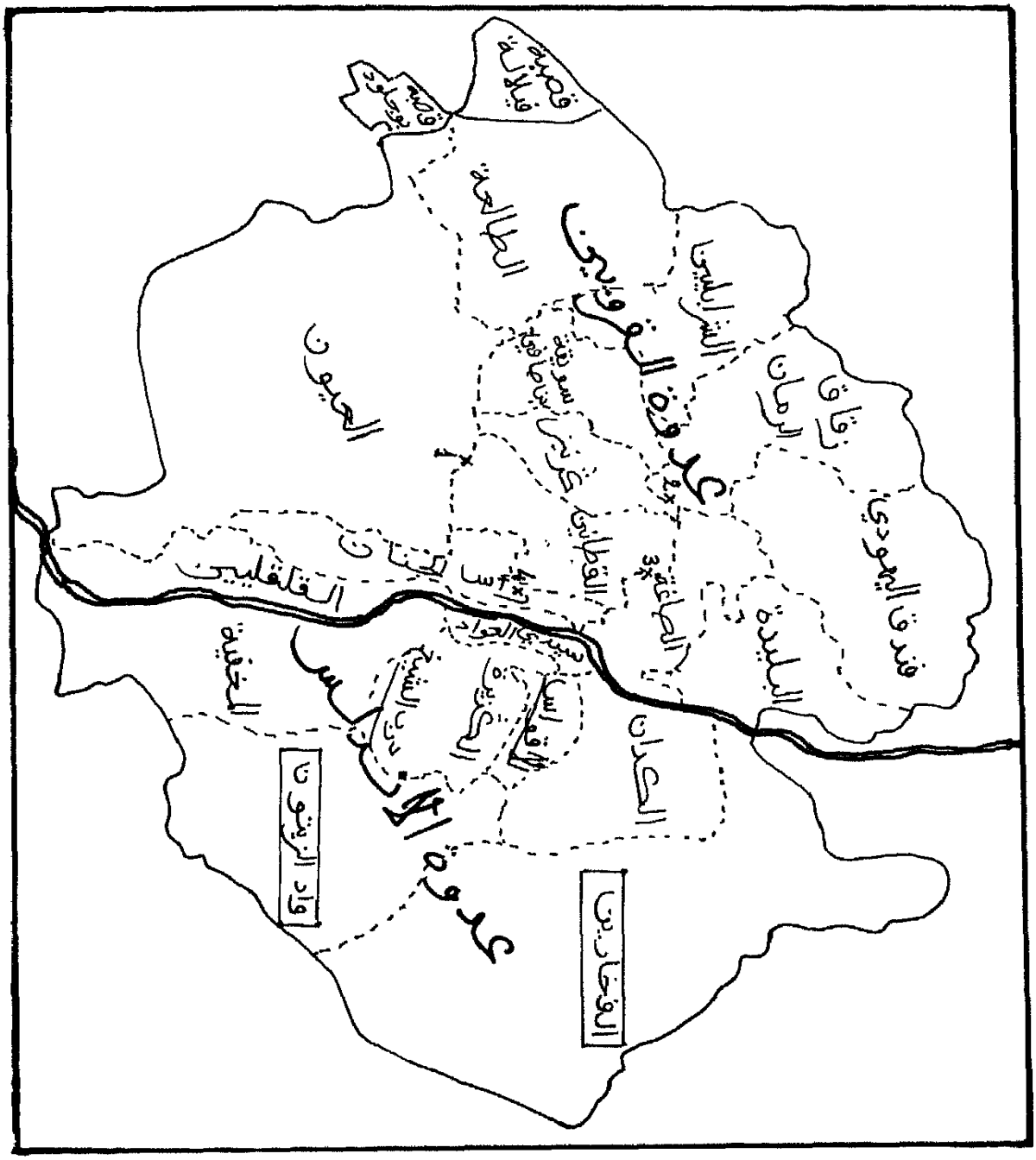

روجي لوطورنو، **المرجع السابق**، ص 180.

الملحق رقم 03 : **رسم تخطيطي يوضح أبواب مدينة فاس**

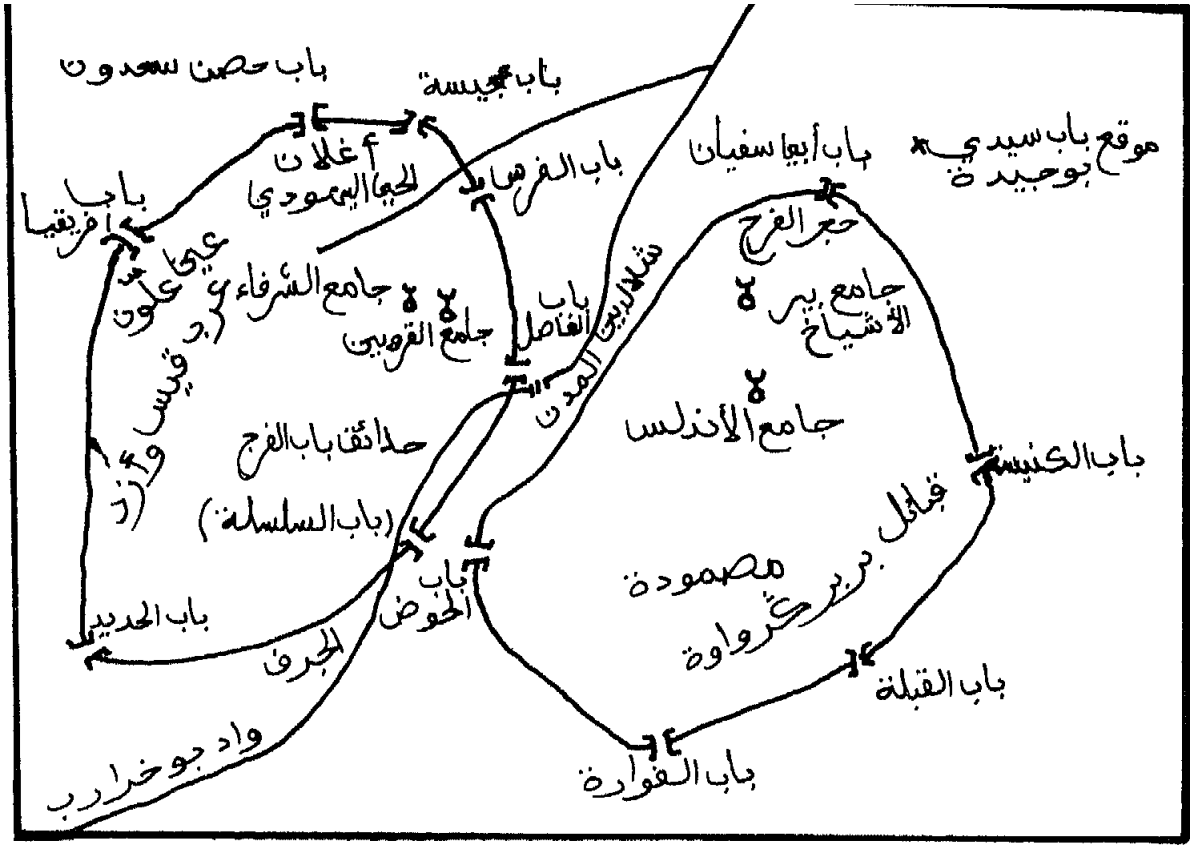

روجي لوطورنو، **المرجع السابق**، ص 70.

الملحق رقم04 : **رسم توضيحي يبين تخطيط فاس الجديد**

عبد الرحيم الورديغي، **المرجع السابق**، ص 09.

الملحق رقم 05 : **صورة تبين صومعة جامع القرويين**

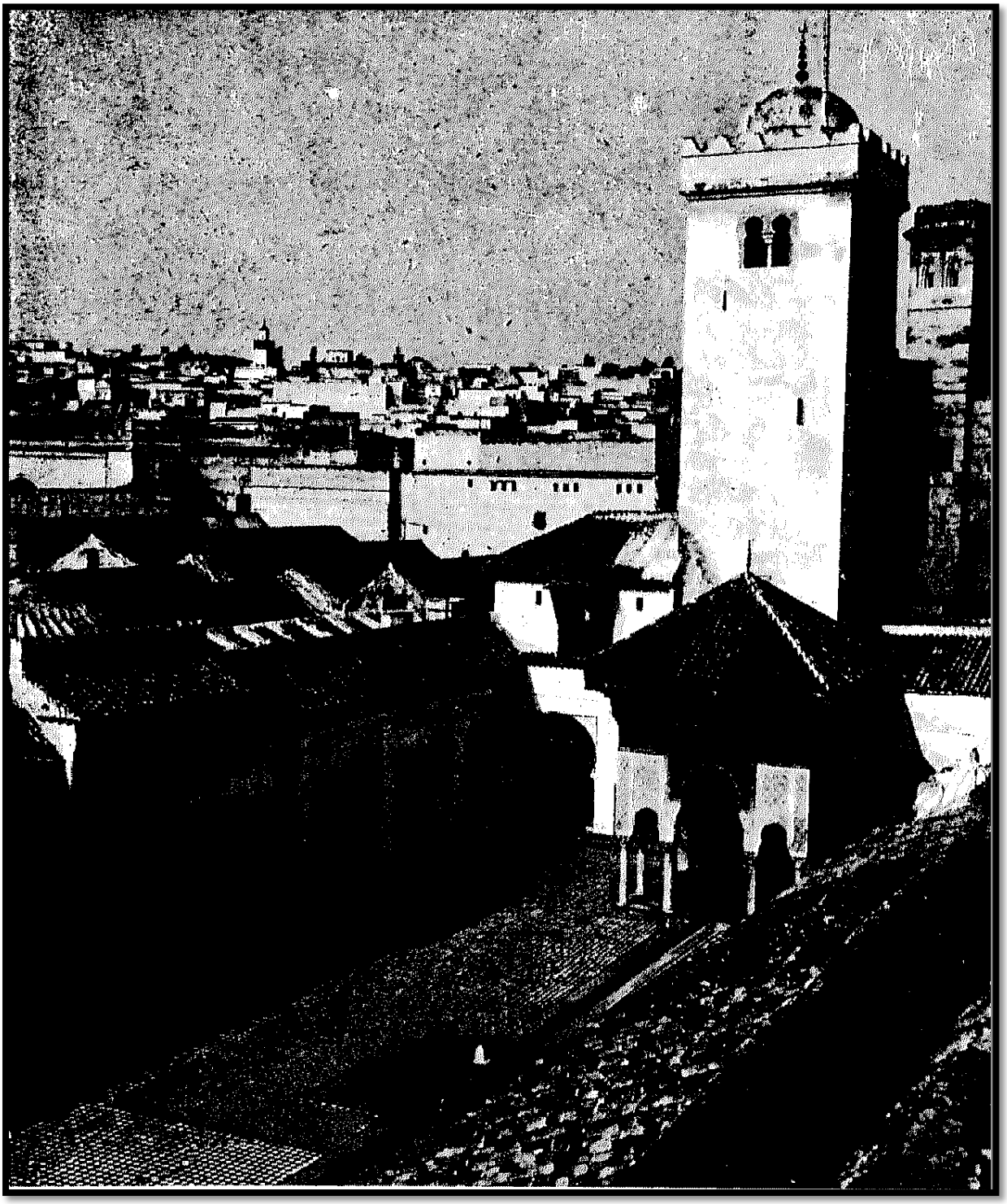

روجي لوطورنو، **المرجع السابق**، ص 897.

الملحق رقم 06 : **صورة تبين صومعة جامع الأندلس**

روجي لوطورنو، **المرجع السابق**، ص 898.

الملحق رقم07 : **صورة تبين فناء وصومعتها المدرسة البوعنانية بفاس**

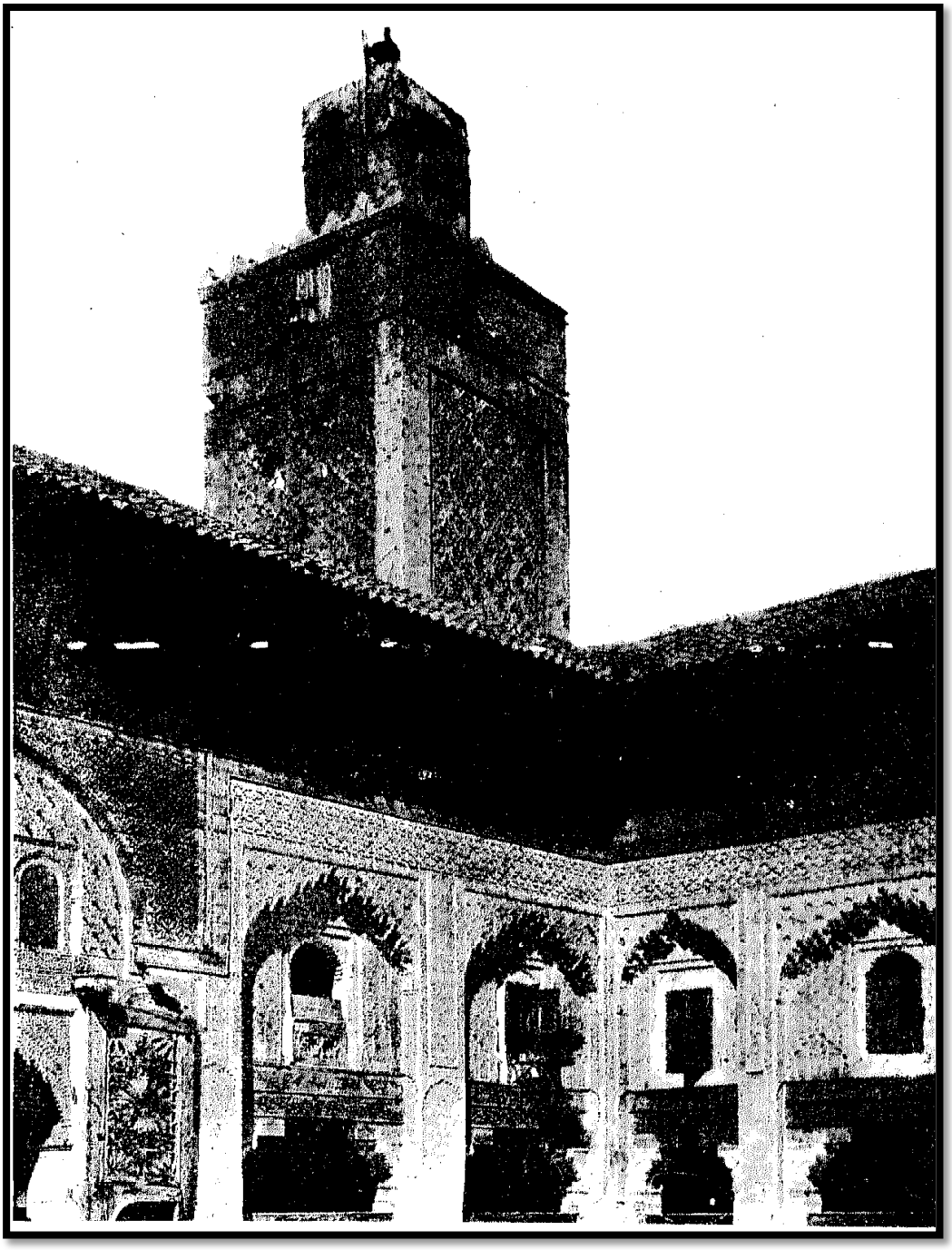

روجي لوطورنو، **المرجع السابق**، ص 901.

الملحق رقم08 : **رسم تخطيطي يوضح أبواب وأسوار مدينة مراكش**

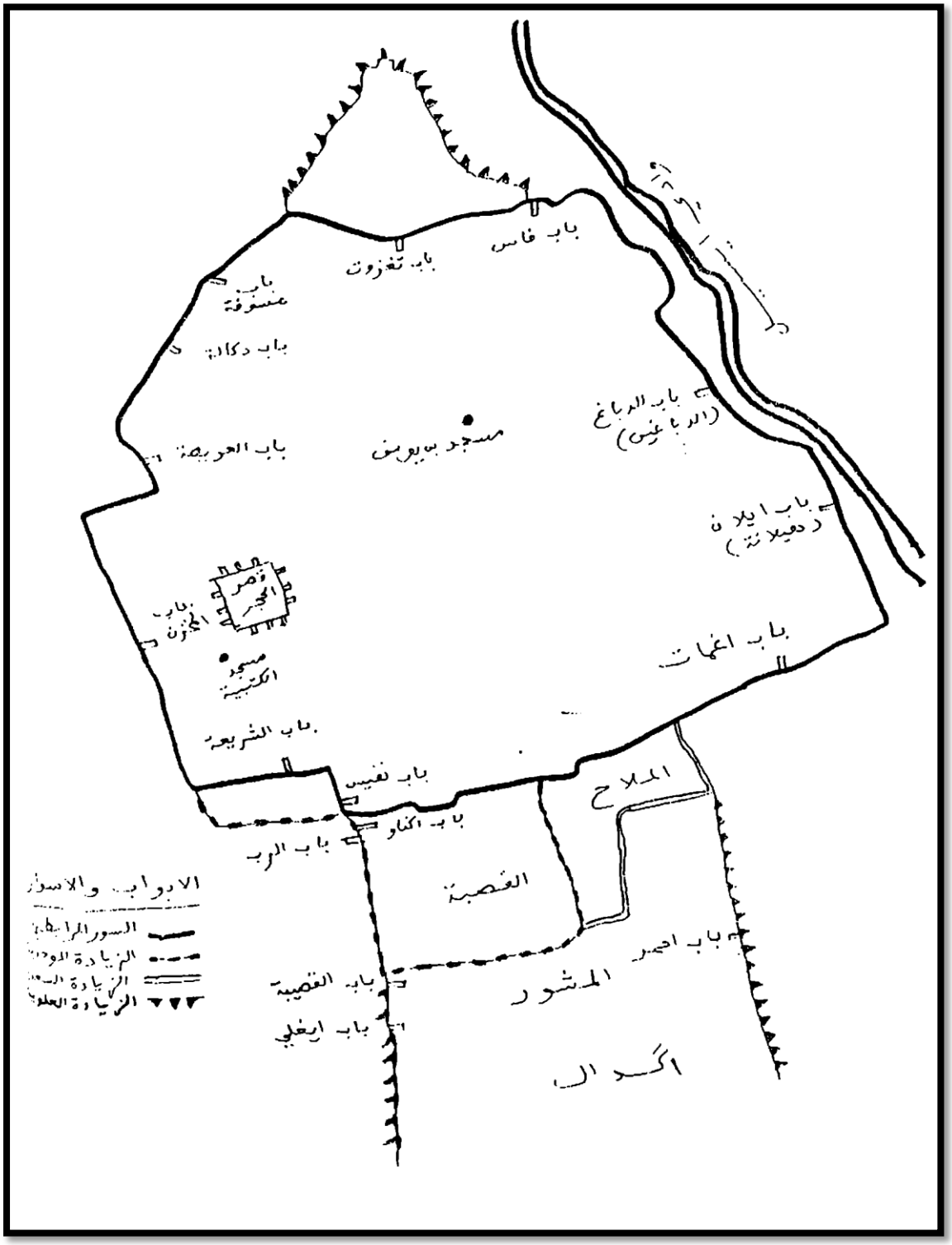

حسن جلاب، **المرجع السابق**، ص 58.

الملحق رقم09: **خريطة توضح مدينة مراكش بعد السعديين**

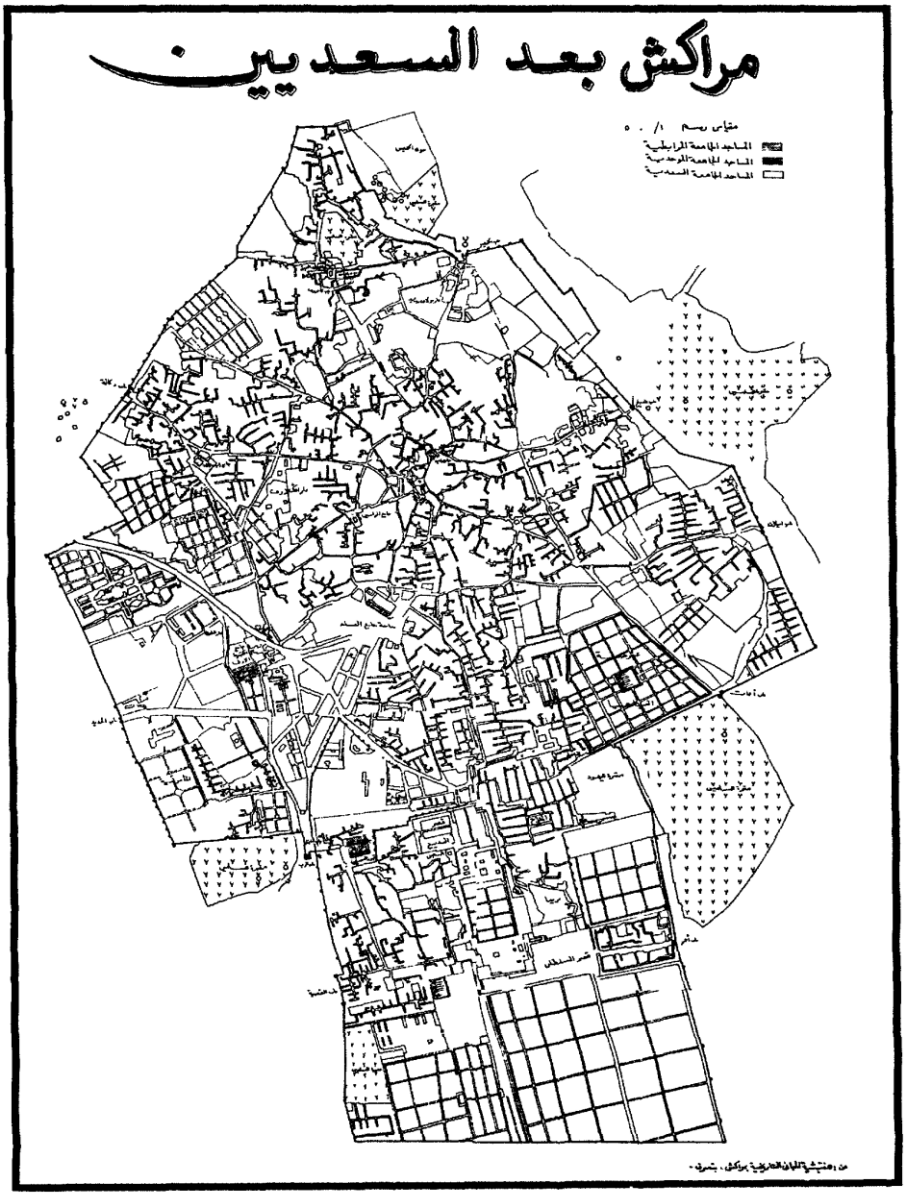

محمد السيد محمد أبو رحاب، **المرجع السابق**، ص622.

الملحق رقم 10 : **رسم توضيحي يبين تعميم مدينة مراكش وأهم مساجدها**

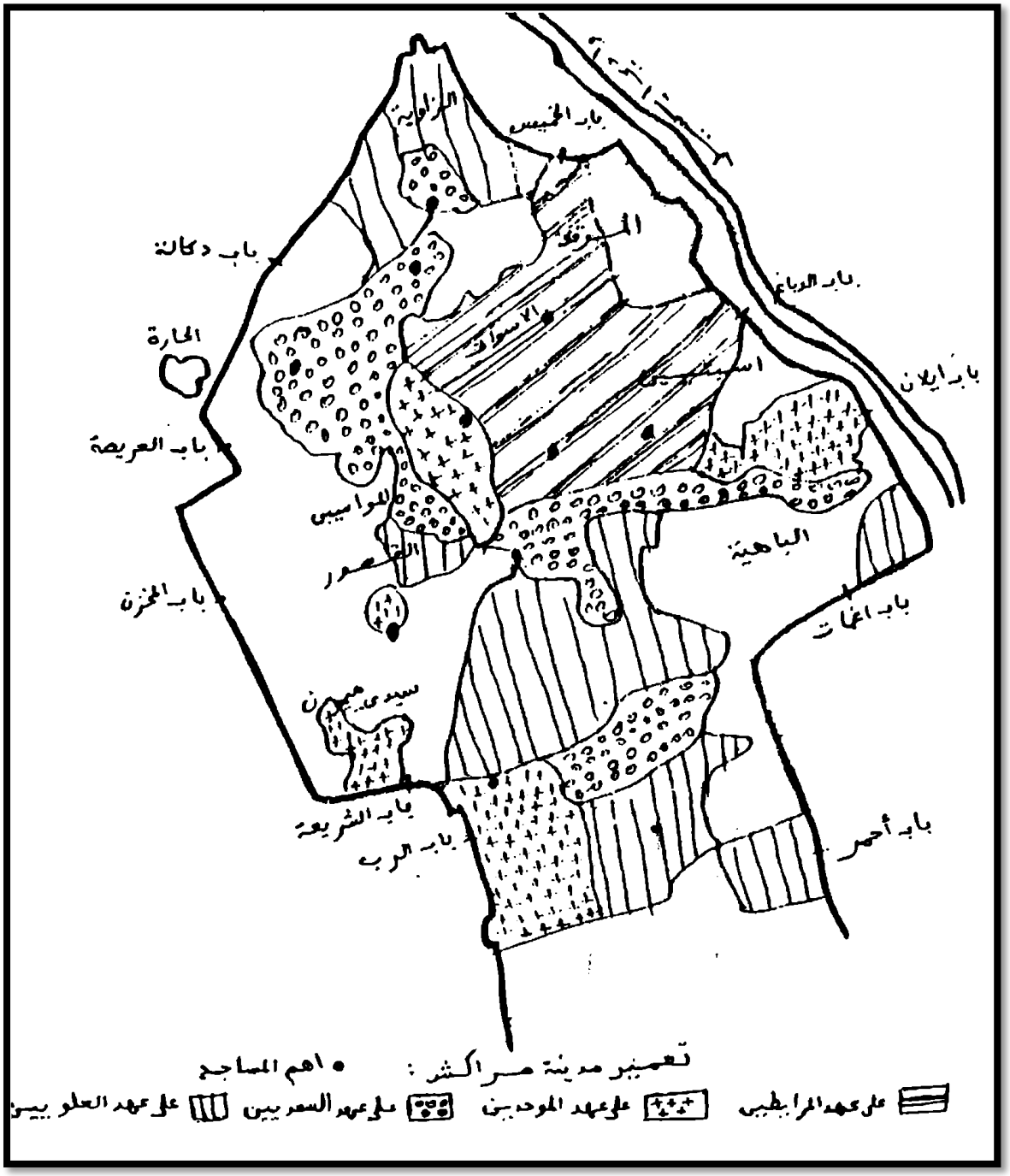

حسن جلاب، **المرجع السابق**، ص 67.

الملحق رقم11 : **خريطة توضيحية لموقع جامع المواسين**

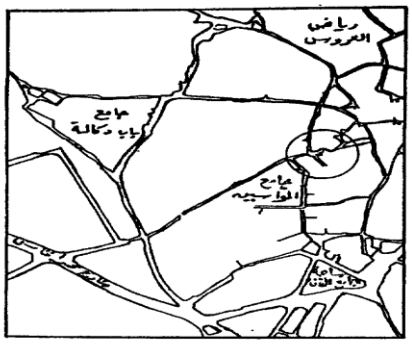

(أ)

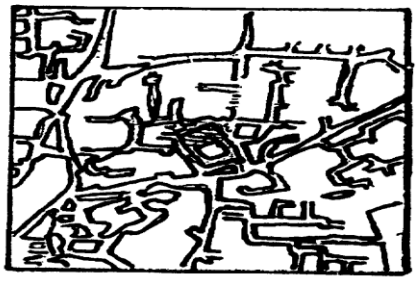

(ب)

١- طريق السويقة .
٢- درب الحمام .
٣- درب الجنائز .
٤- زنقة المواسين .

(خريطة٩/ أ-ب): خريطة توضيحية لموقع جامع المواسين بمدينة مراكش.
عن:هفتيشية المباني التاريخية بمراكش، بتصرف.

محمد السيد محمد أبو رحاب، **المرجع السابق**، ص627.

الملحق رقم 12 : صور توضح جامع المواسين

(لوحة ٢٩) : جامع المواسين بمراكش (٩٧٠هـ/١٥٦٢م)
المدخل الرئيسى الذي يتوسط الواجهة الغربية.
تصوير الباحث.

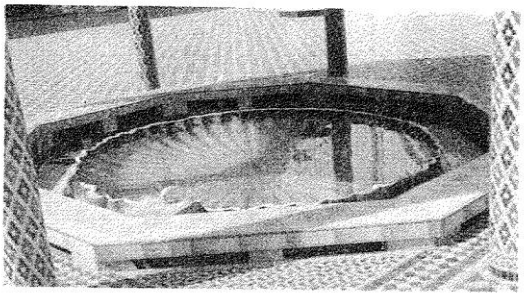

(لوحة ٣٠) : جامع المواسين بمراكش.
صحن الجامع والفسقية التى تتوسطه.
تصوير الباحث.

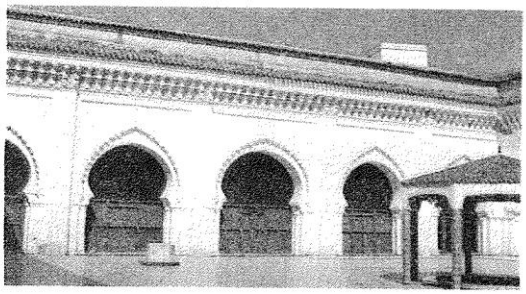

(لوحة ٣١) : جامع المواسين بمراكش.
الواجهة الشمالية لصحن الجامع.تصوير الباحث.

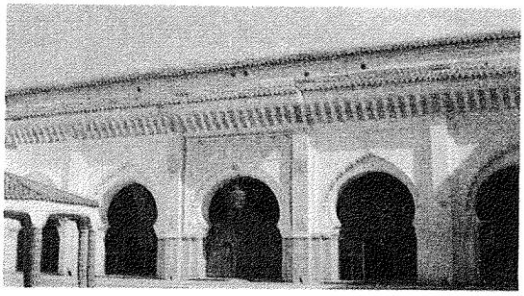

(لوحة ٣٢) : جامع المواسين بمراكش.
الواجهة الشرقية لصحن الجامع. تصوير الباحث.

محمد السيد محمد أبو رحاب، **المرجع السابق**، ص 629.

الملحق رقم13: **صور تبين مدرسة ابن يوسف بمراكش**

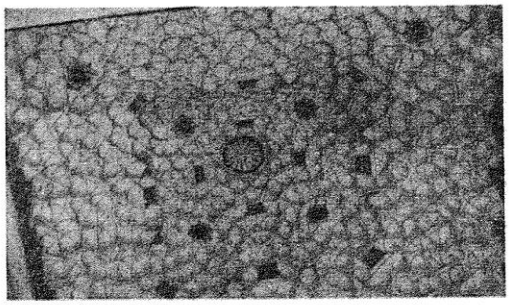

(لوحة ٦٥) : مدرسة ابن يوسف بمراكش.
تفصيل لزخارف باطن القبة
التي تتقدم المدخل الرئيسي للمدرسة.
تصوير الباحث.

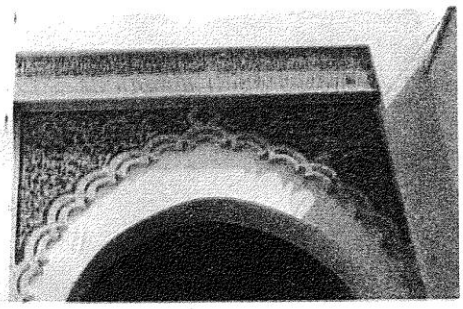

(لوحة ٦٦) : مدرسة ابن يوسف بمراكش.
تفصيل لزخارف عقد الساباط الذي يصل بين مدرسة
ابن يوسف وجامع ابن يوسف المقابل لها.
تصوير الباحث.

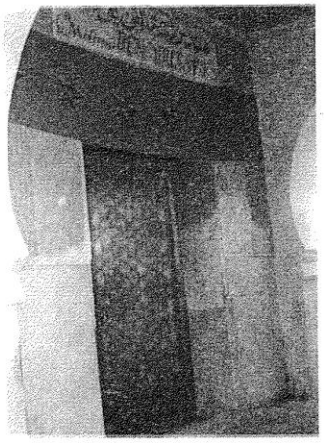

(لوحة ٦٨) : مدرسة ابن يوسف بمراكش.
المدخل الرئيسي للمدرسة.
تصوير الباحث.

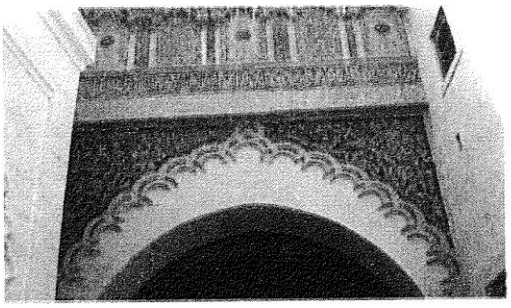

(لوحة ٦٧) : مدرسة ابن يوسف بمراكش.
تفصيل لزخارف عقد الساباط الذي يصل بين مدرسة
ابن يوسف وجامع ابن يوسف المقابل لها. تصوير الباحث.

محمد السيد محمد أبو رحاب، **المرجع السابق**، ص690.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

البسملة

الشكر

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ – و

الفصل التمهيدي

– المغرب دراسة طبيعية..... 09-08

– التضاريس والمناخ..... 11-09

– الشبكة المائية والغطاء النباتي والحيواني..... 11-11

– التطورات السياسية في عهد السعديين (915-1069هـ/1510-1658م)... 18-12

– التطورات السياسية في عهد العلويين 23- 18

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة فاس

-1/نشأة مدينة فاس وتطورها العمراني (15/19م)..... 25- 25

– نشأة مدينة فاس 28-25

-التطور العمراني لمدينة فاس..... 31-29

-2/الحياة الاجتماعية في فاس..... 32- 32

– البنية السكانية..... 33- 32

– العادات والتقاليد..... 37-34

– المرأة..... 39-38

-3/ المراكز الثقافية والدينية في مدينة فاس..... 40-40

– المساجد والزوايا والأوقاف..... 52-40

– المدارس والكتاتيب..... 56- 53

– المكتبات..... 58-57

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة مراكش

– 1/ نشأة مدينة مراكش وتطورها العمراني(15/19م)..... 60-60

– نشأة مدينة مراكش..... 60-60

فهرس المحتويات

- التطور العمراني لمدينة مراكش..... 62-63
- 2/الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش 65-65
- البنية السكانية..... 65-66
- العادات والتقاليد..... 66-67
- المرأة..... 68-69
-3/ المراكز الثقافية والدينية في مدينة مراكش..... 69-69
- المساجد والزوايا والأوقاف..... 69-80
- المدارس..... 80-83
- المكتبات..... 83-84

الفصل الثالث: دور المراكز الثقافية والدينية في مدينتي فاس ومراكش

-1/ الدور الاجتماعي..... 86-87
-2/ الدور الثقافي..... 88-89
-3/ الدور الديني..... 90-91
-4/ التواصل الثقافي بين هاته المراكز والجزائر..... 92-104
- خاتمة..... 105-107
- الملاحق..... 108-120
- البيبلوغرافيا..... 122- 130
-فهرس المحتويات..... 132-133